روايات عبير

سِحر الذهب الأسود

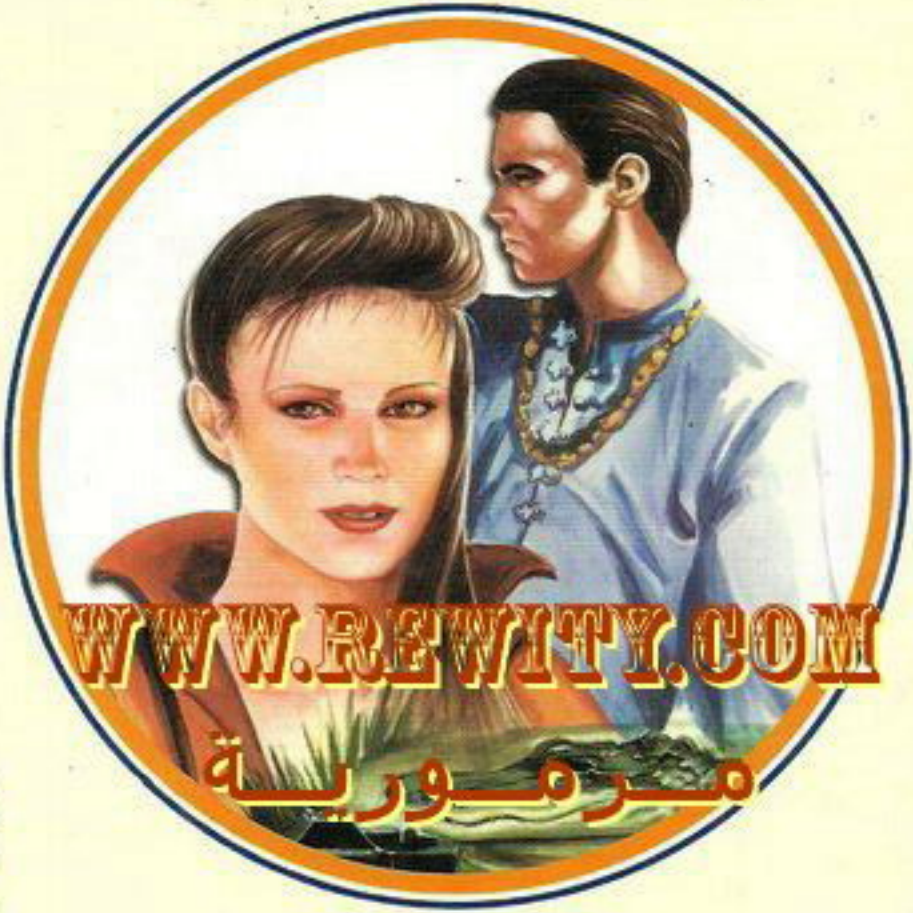

WWW.REWITY.COM

مـــرمـــوريـــة

Suzanne CHRISTOPHE

N° 638

روايات عبير

حاول "شندلر" أن يتقرب إلى "جولييت" بكل ما وسعه من السبل. رأت هي في عينيه رغبات مختلطة شائكة :هل هذا هو الحب الذي يخرج متدفقا من القلب أم نزوة من النزوات؟ أما "جولييت" فبدت خائفة من هذه التجربة أشد الخوف.هل ستكون التجربة تجربة حب حقيقي أم تجربة ضائعة المعالم؟ من تكون لديه الجرأة في الاقتراب من الطرف الآخر؟

هل سيجمع القدر بينهما؟ أم يفرقهما؟

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-443-50-5

9 789953 443508

تمهيد

نيسان (أبريل) ١٩٣٥

كان الساحر الخاص للذهب الأسود والذي يقف منتصباً وثابتاً في وسط حقل الذرة الصفراء ومنتظراً من النفوس البشرية أن تكلمه وتحس به إحساساً ملموساً. العينان مغلقتان والوجه باق متجه نحو الأفق البعيد للأمل البعيد. والرياح التي تعصف بشدة تهدد بنزع خوذته القديمة بعيداً باتجاه الحقل المجاور، ومع أن ذراعيه بقيتا ثابتتين نحو صدره بدون أدنى حركة، وراحتي كفيه متجهتان نحو الأرض بشكل موازٍ لها.

أما بالنسبة لعيني ابنته البالغة من العمر خمس سنوات والتي كانت تنظر إليه من أول الحقل ويرافقها أصدقاؤها الجدد فلم يكن هذا يمثل لها إلا طقساً من الطقوس التي اعتادتها. كان هذا هو الأسلوب الذي يصل إليه والدها في تسكين جوعهم وملء جيوبهم بالقطع النقدية. وأما بالنسبة للمزارع الذي يبحث يائساً عن البترول وأيضاً بالنسبة لزوجته الحامل فإن هذا كان الأمل الوحيد الباقي لديهما لتحقيق حلمهما هذا.

إن النهار شديد الحرارة كان يرطب قليلاً قليلا حتى نهايته، وبينما كان حائط من الرمل الأسود مخلوطاً بالوحل يتقدم باتجاه السهل، وأشجار الحور النحيلة ولكنها صامدة لا تنحني تحت وطأة هذا الهواء العاصف. وببعض القفزات القوية والهادئة راح أرنب وحشي يقفز عبر التلال باحثاً، مثل ملايين المزارعين لمدينة "أوكلاهوما" عن أرض واعدة مليئة بالشمس وأشجار البرتقال.

فجأة، بدأت العصا السحرية بالاهتزاز ويدها الطويلة والنحيلة تتراقص بإيقاع موزون وكأنه آت من الداخل. ثم بدأ بالدوران باتجاه دائري حلزوني لتتسع أكثر فأكثر، وكل هذا في نغم موسيقي غريب

الأطوار.. أحيانا وبعدأن تمر فوق بعض النقاط المترامية تبدو رقصتها شرسة، وفي لحظة واحدة تعود هذه الشراسة إلى الهدوء المترامي.

والتراب الذي يتطاير بسبب هذا الهواء العاصف يملأ أعينهم وأفواههم.وهذه الطيور التي تطير في كل الاتجاهات فإن بعضها يتساقط ميتاً كالخشبة وصدورها ملأى بالغبار، والبعض الآخر ينجو بأعجوبة بالغة في هذا الهواء العاصف. وهذه الأسلاك الكهربائية التي يتلامس بعضها ببعض فتحترق فوق رؤوسهم ولكن بدون أن ينتبه إليها أحد.

وفي نهاية فترة طويلة من الزمن تكف الساحرة عن حفر الأرض وتبدأ بالارتجاف وقدماها تبدوان ثابتتين في مكان معين من الأرض. وثلاثة أرباع الدقيقة مرت بدون أدنى حركة، والعرق يتصبب على كامل وجوههم الهزيلة بينما يقف المزارع وزوجته وقفة أمل وتأمل.

وأخيراً يبدو أن ساحر الذهب الأسود بدأ يلفظ أنفاسه الأخيرة متهاوياً نحو الأرض وهو يرسم شكل أنصاف دوائر وكأنه يدور في الظلام. وهذه صفعة قوية من الهواء تخلع عنه خوذته وترمي بها بعيداً في الأفق البعيد وأيضا هذه بعض التشنجات تضرب صدره هذا لتضربه وتخرجه عن طوره وكأنها تودي به إلى السجن بضربة واحدة قاضية.

وبنظرة سريعة إلى المزارع تحسبه ميتاً، وبسرعة متناهية من زوجته تأخذ قلماً من صداره وتبدأ برسم خريطة تقريبية للمكان على ظهر ورقه قديمة مدون عليها مقادير الخبز الطازج.

وتكسر الفتاة الصغيرة غصنا من أغصان الشجر وتزرعه في الأرض عند قدم والدها تماماً، ثم تلتفت نحو الزوجين الشابين بتلهف لتعلن لهما بصوت مرتفع جداً:

– إن البترول التابع لكما موجود هنا.

الفصل الأول

– سيدي "ماك كوي".

– من هنا من فضلك!

رأت "چوليت" «الباحث عن الذهب الأسود» والذي من سقالته وقف منتصباً تماماً فوق أرض العمل البترولية ناظراً إليها وهو يفرك جفونه بدهشة صرخت في وجهه، ولكن.

– إنك لا تعرفني ....

وفي الحال مد يده نحو أذنها وقرب وجهها نحوه وأفهمها بأنه لا ينتظر شيئا منها في وسط هذا الحشد اللامتناهي من البشر والآلات الضخمة العملاقة وأصواتها القوية والتي تصم السمع.

وبصمم كامل من الفتاة الشابة عن السمع فإنها لجأت إلى طريقة أخرى لتصل إلى مسامعه– وفجأة– فإن ضربة في الهواء العاصف هزت هذا الكيان الرقيق لتصعد الخوف عندها. وفي هذه الأثناء تذكرت "چولييت" سبب قدومها إلى هنا واضعة يديها حول فمها لتصرخ بملء فمها:

– كيف أستطيع أن أتسلق إلى أعلى؟

– إنك لا تستطيعين أبداً! صرخ فيها بهذا مضيفاً لكلامه إشارة من أصبعه تعني ما قاله.

السيدة الشابة فهمت من كلامه هذا أنه قد أعطى أوامر إلى عماله الذين يعملون معه بأن يتخلصوا منها. ولكنها لم تقطع هذه المسافة الطويلة لكي ترجع أدراجها بخفي حنين.

وبالرغم من الدوخة التي انتابتها فقد تقدمت نحو السقالة الثانية ممسكة بأنابيب ضخمة من النحاس.

– متأسف ياسيدتي الشابة! أعلن الرجل عن هذا بلهجة قوية.

– إن سطح العمل هذا ممنوع للغرباء، شرح لها هذا ممسكاً بيدها

من مرفقها، وقبل أن تستطيع التسلق إلى الأعلى.

– ولكن.....

– متأسف جداً، سيدتي.

كبتت "چولييت" جماحها وتأملت العدد الهائل من الأنابيب الضخمة التي تقف فوق الفراغ ولم يكن عندها شيء لتحمي به رأسها، وبطبعها فإنها لا تستسلم أبداً بسهولة بدون أن تصل إلى غايتها المنشودة.

– إنك لا تفهم أبداً، قالت له هذا وهي تفكر في هذا العامل غليظ الذهن. يجب علي أن أكلم السيد "ماك كوي" . اليوم.

أمسكها بقوة لكي لا تقع، والآخر قادها إلى طرف عدد من الدرجات التي تهبط متجهة نحو الأرض اليابسة.

– ناديه من عندك واتركي له الرسالة.

– لقد تركت له على الأقل عشرات الرسائل في غضون الأسبوعين الفائتين وبدون أدنى جواب.

– السيد "ماك كوي" رجل مشغول جداً، أطلق هذا وهو مستخف بها. وهو أيضا لا يخلط بين العمل والمتعة.

قال هذا وبدون أن يعيرها أي اهتمام، ونظر إليها بطرف عينه نظرة فاحصة لقامة هذه السيدة الشابة.

– هذا بالفعل ما أريد أن أشرحه لك! زعقت في وجهه، ومرت أسفل الدرج متخلصة من المنجلة القوية التي كانت بيد العامل. إنني هنا لأتكلم عن العمل.

هنا وقف الرجل وأزاح خوذته إلى الوراء قليلاً فاتضح أثر الخوذة على جبينه لطول الفترة التي تظل هذه الخوذة فيه على الرأس.

– في هذه الحالة.. أعطيني رسالتك وسوف أوصلها له عندما ننتهي من تغيير رأس الحفارة هذه.

– كلا.

– لماذا؟

– لأن هذه الرسالة شخصية جداً، أعلنت له بهذا غضباً عنها.

– اسمعي ياسيدتي الصغيرة، قرري ماذا تريدين.

– إنني أقول لك بأنه عمل ما... ويجب أن يظل سراً بيني وبينه، تخلصت منه في استحياء تام.

– هيه، نكس رأسه! وفجأة جاء صوت عامل آخر ليمنعه من الرد بجواب:

– تعال وساعدني في هذه الأنابيب.

– سوف أصل الآن! ردَّ بهذا وهو متذمر.

اغتنمت "چولييت" هذه الفرصة.

– سوف أنتظرك هنا... هذا وعد.

وهي تصر على أسنانها بعصبية بالغة، التفتت إلى الوراء وصعدت مرة أخرى الدرج. في هذه الأثناء وقف العامل ورمى لها بخوذة كانت موجودة على الأرض، صارخاً:

– إذا كنت تريدين الانتظار هنا فيجب عليك وضع هذه على رأسك!

التقطتها "چولييت" وقالت له من بعيد:

– شكراً– "تكس"!

ضاحكة بملء فمها ولوح لها العامل بيده محيياً قبل أن يبتعد، ومثلما وعدت فالسيدة الشابة لم تبرح مكانها بدون أي حراك وتسلت بمقارنة هذا الحقل بالحقول التي زارتها منذ فترة، وبفروق بسيطة فإنها جميعاً متشابهة: هذا كرڤان يخدم المكتب قائم في وسط الشاحنات والتي أكثر وساخة من شاحنتي. وإلى جانبها أنابيب كبيرة ضخمة من الفولاذ الصلب الملقاة بالتساوي وكأنها آلة من الأورغ الكبيرة جداً والتي يستخدمونها في الكنائس، وهذا "الديريك" يمتد ليقتحم السماء في طوله ونقطة ناعمة حمراء

تغطي كل شيء في هذا المكان.

بنطالي الجينز! صرخت بهذا وقدماها عالقتان في الوحل.

مهنئة نفسها على وضعها حذاءها الطويل الكاوتشوك أكثر من لو أنها وضعت حذاءها المخصص للعب التنس، ومالت "چولييت" برأسها لترى الوضع عن كثب. كان هناك في ذلك الوقت الحاضر عاملان إضافيان فوق السقالة، ولكنها تعرفت بسهولة على "الچيولوچي". هو أيضا كان يرتدي حذاءً مطاطياً ذا رأس فولاذي، وبنطالا من الجينز مليئا بالبقع، وقميصا كان في يوم من الأيام ذا لون أبيض ولكنه وقف هنا ونظر إليها مستغرباً.

رشيق وخفيف مثل النمر، وكان يتحرك بثقة الرجل الواثق بنفسه، ويتصرف بكل هدوء لكي يستطيع أن يقود الآخرين. كان يضع بشكل جميل خوذته على طرف رأسه، وبالرغم من كل هذه الظروف كانت هيئته تنبئ عن شياكة فائقة.

واضعاً نفسه على طرف السقالة ليأخذ الأنبوب الذي يمده له (تكس) وكل الأنظار كانت مشدودة إليه لأهمية هذا العمل وللخطر المحدق بهذا الرجل. ناظراً إلى عماله الذين يتطلعون إليه بإعجاب بالغ. هنا أدركت "چولييت" تماماً لماذا يعتبرون هذا "الچيولوچي" من أفضل الأشخاص في هذا الاختصاص.

هبت في هذه الأثناء رياح عاصفة ضربت المقود في حين أن "چولييت" أحست بدوران في معدتها معتقدة بأن هذا الچيولوچي هو الوحيد الموجود فوق هذا الموقع من العمل، وبدون أن يكون مثبتاً بأي شيء يمنعه من الوقوع من الأعلى. كانت تريد أن تحول نظرها عن هذا ولكن دون جدوى، فالخوف الذي انتابها في هذه اللحظة جعلها تتسمر في مكانها. في هذه الأثناء أمسك الرجل بطرف الأنبوب وتوجه به بهدوء تام نحو الحفرة المربعة لثقب البئر. أخذ خوف السيدة الشابة من هذا الوضع يكبر فيكبر،

وأخذ قلبها في الخفقان عندما رأت العامل الذي كان بالقرب منها يضع أنبوباً من النحاس فوق الأنبوب الأول حيث أخذا في الاهتزاز الواحد فوق الآخر كجرس ساعة الحائط الكبيرة، وأخيراً، وعندما قدم إلى الموقع عامل ثالث ليدعم المجموعة اعترفت لنفسها بأنها رأت ما فيه الكفاية فأغلقت عينيها.

- اتركوها تنزلق! أمر صوت بهذا بعد فترة من الزمن.

قفزت "چولييت" من الفرحة وفتحت عينيها عندما سمعت الموتور الديزل يأخذ في الدوران مرة أخرى نازلاً في الحفرة سليماً ليحفر هذه الأرض اليابسة الظمأى. عندما أخرج "الچيولوچي" الفريق الكامل التابع له والذي التف حوله ليهنئوه على عمله هذا بصفقة حارة من أيديهم. بدأ رأس المضخة في الدوران والفولاذ والنحاس يتضاربان مع بعضهما البعض، والأرض الصلبة بدأت تأخذ إيقاعها المعتاد. واقفة على جنب الموقع أحست "چولييت" وكأنها خارج الموضوع تماماً إلى حين أن (تكس) قد رآها فقدمها إلى مدير عمله. وبالنظر إلى السيدة الشابة بدأت مناديل هذا الرجل بالظهور واحداً تلو الآخر بطريقة غريبة دالة على أن وجودها قد أزعجه.

وبعد أن أمضى نصف الليلة وهذا النهار بأكمله فوق هذه البئر فإنه لا توجد عنده رغبة في رؤية امرأة ضعيفة محصورة بينهم فوق هذه الأرض الصلبة. وكل ما كان يفكر فيه الآن هو هذا الحمام من الماء الساخن وهذه الكأس من الشراب الطازج وثماني ساعات من النوم المتواصل فقط لا غير.

احتفظت "چولييت" في هذه الأثناء بوجه هادئ غير متأثر بالرغم من هذا الاصفرار الذي ظهر تحت هذه البقع من النمش الظاهرة على أنفها ووجنتيها. وفي هذا الوضع الذي كانت عليه فإنها كانت متأكدة تماماً من أنه لن يبدي أي إطراء على جمالها،

ولكن أيضاً هذا الرجل لم يكن والحق يقال باديا عليه أن عمره فقط واحد وثلاثون عاماً.

أخذت موضعا جيدا وهمت بالتقرب منه لمحادثته. بينما قطب حاجبيه وهم بالانصراف. رفعت "چولييت" ذقنها بكل ثقة بطريقة لم يكن باستطاعته تجاهلها وعندما هما بنزول الدرج بهدوء تام. وإذا كانت نظراتهما لم تتعانق أبدا فإن "جولييت" أحست في أعماقها بالقدرة الكاملة لملاحقة خطواته الطويلة. وبدون أن يلتفت حوله توجهت مباشرة إلى "الكرڤان" الذي كان يستخدمه كمكتب له في هذا الموقع من العمل.

متتبعة خطاه أحست السيدة الشابة بفرحة غامرة لأنها وجدته أخيراً ولم يعد بإمكانها ملاحقته أكثر من هذا. ولكن وجودها الآن هنا لم يكن إلا بهدف العمل فقط. وكلمات العامل (تكس) ساعدتها على الحفاظ على هدوئها التام.

وباستهتار بالغ، خاض "الچيولوچي" بقدميه في البركة الصغيرة من الماء والتي كانت عند أسفل الدرج الحديدي المؤدي إلى المكتب. وبما أنها لا تريد لبنطالها أن يتسخ أكثر ترددت "چولييت" في العمل مثله. ولكن لتعاسة حظها لم يكن موجوداً سوى هذه الطريقة أو القفز فوقها. وبما أن هذه البركة لا تزيد على المتر ونصف المتر فإنها استعدت للقفز فوقها... ولكي تهبط على درجة السلم. بشكل مخيف وبدون أية حاجز تستطيع أن تمسك به لكي لا تقع. على الأقل.....

مد لها الرجل يده المنقذة في هذه الأثناء ولكن تشبثت "چولييت" بخيبة أمل في قميصه.

– ولكن اتركيني! صرخ لها بهذا.

– إنني لا أستطيع وسوف أقع.....

أصابع قوية التفت حول ذراعها ورفعتها إلى الأعلى نحوه بينما

تلاشت هي وأخذت في التقاط أنفاسها المبعثرة.

– ما حالك الآن؟ سألها وهو يأخذ طرف قميصه الذي سحبته نحوها ليعيده إلى تحت حزامه.

عندما لا يصرخ فإن صوته يصبح معتدلاً وعميقاً.

– نعم وشكراً لك، أجابته وهي مرتبكة أمام هذه النظرة الخضراء القوية والمثبتة عليها.

– إذن، ماذا تريدين؟ سألها بنبرة حادة.

– يجب على أن أكلمك.

– أنا مصغٍ كلياً، أجابها.

ولكن جسده الفذ المكون من عضلات قوية بارزة، والتي تبرز رجولته أكثر، وهذا السلم الحديدي الذي بدا أكثر استقامة منه، وبكل عصبية، مدت "چولييت" أصابعها نحو مقبض الباب، ولكن يدا قوية سمراء أمسكت به قبلها. وهي تشكره بأدب، دخلت إلى مكتبه جاهزة لاقتحام عرين الأسد وللتشبيه فإن حظيرة الخنزير المتوحش تبدو أكثر أناقة من هذا المكان.

لم تعد تصدق عينيها لما رأته من فوضى عارمة وغبرة تسود أرجاء هذا المكان بأكمله. وبدون أي تردد أغلقت الباب لترد عنها ضوضاء العمل الموجودة في الخارج، خلع عنه خوذته وعلقها على مسمار كان موجوداً على الحائط وبأطراف أصابعه رتب شعره الذي كان أكثر سواداً من متشرد في مدينة "أوكلاهوما" هذه، وذهب بعيداً نحو براد صغير يأخذ كأساً من الشراب البارد المنعش.

الشراب البارد في هذا الوقت المبكر من الصباح؟ سألته متعجبة.

– هل يوجد عندك شيء أحسن لتقدميه إلي؟ سألها بلهجة باردة جداً.

أخذت "چولييت" بعضاً من الوقت لتستطيع الرد عليه، ولكن عندما وصلت الكلمات إليها أخيراً أرخت مناديلها القاسية من

الغضب، وخلعت خوذتها بطريقة عصبية، وبدأت تفهمه بماذا تفكر عن فظاظته هذه عندما ضرب هذا الطرف المعدني للخوذة ببكلة شعرها المعقوص التي كانت تكمشه فوقع شعرها الأحمر الناري وبدا كاللهب المتصاعد على كتفيها، فجثت "چولييت" على ركبتيها باحثة عنها.

– قولي أيتها السيدة وقفي قليلاً الآن فإنه لا يوجد عندي سوى هذا لأعمله!

– وهذا هو الذي اعتقدت بأني فهمته، رمقها بسخرية تامة واضعةً يدها أخيراً على بكلة شعرها التي وجدتها.

لقد فهمت هذا أخيراً، ردَّ عليها، مستمتعاً– بالرغم من كل هذا– بالمشهد الجذاب الذي قدمته إليه.

على كل حال، فإنه يفضل الشكل الأنثوي المبروم ولكن هذه القامة النحيلة وهاتين الساقين الطويلتين الممدودتين تحت هذا البنطال المصنوع من الچينز لم تكونا مصنوعتين له لكي تعجباه، وأيضا، فقد شاهد بنظرة ما هذا الخاتم الذهبي (خاتم الزواج الذهبي) الذي كانت تضعه في أصبع يدها اليسرى فأخرج هذه الفكرة من ذهنه وذهب للبحث عن جريدة الصباح في طرف الحقل. فإذا كان لا يستطيع التخلص من أفكاره هذه فإنه سوف يظل– على كل حال– مخلصاً لإحداهن، ولكن أبداً وبتاتاً مع سيدة متزوجة.

– عندي عرض خاص لأقدمه لك.

نظر إليها ببرودة أعصاب كاملة وإذا كانت موجودة هنا بملء إرادتها فإنها يجب عليها أن تذهب لرجل آخر غيره.

– إنه عمل ما... ، أكدت له هذا وهي تحزر بماذا يفكر الآن.

– اسمعي...، تاركاً إياها بعد نفاد صبره.

–كلا! قاطعته وهي تخرج من جيب قميصها الرجالي الذي

كانت ترتديه قطعة من ورق كرتون وقالت:

– بل هو أنت الذي يجب عليك أن تسمعني.

– ماذا؟ روشيتة...، نظر إليها بتمعن وهو يمزح.

– بل هو كارت.

وبفضول اقترب لكي يتمعن الخطوط الباهتة للقلم واكتشف أنها كانت على حق.

– إن جدتي كتبت هذه المقادير منذ أكثر من خمسين عاماً، شرحت له.

– إنك على حق، ولكن ما علاقة هذا بي؟ سألها بوقاحة. وبكل هدوء ممكن كيف أن– ومنذ زمن بعيد– هذا الجد لهذا الصبي الذي كان موجوداً قد كان خادماً عندها. "شندلر ماك كوي" لم يتحرك على الإطلاق ولكن أحس وكأنه قد رآه من قبل، وأن جده الذي يحمل اسمه قد كلمه عن هذا أيضاً...

ومثل الجندي الكبير في السن الذي يعتني برفاقه الصغار ويترأف بحالهم كان ساحر الذهب الأسود أيضاً يحب أن يعيد ذكريات الأيام الصعبة والأيام الحلوة أيضاً، والتي كان يقصها على ابنه الصغير مع الزيادات عليها التي كانت تتتابع على مخيلته. هذا الذهب الأسود المشهور عالمياً فإنه ينبع من تحت الأرض عن طريق البئر التي تقام بهذه السواعد القوية ليملأ برميلاً واحداً بأقل وقت من الزمن الذي تنبس فيه بهذه الكلمة، والسقالات تدفعه إلى الأعلى مثل القلابات التي تقلب التراب على أراضي مدينة "أوكلاهوما" الحمراء وكل هذا فإن السيد "شندلر" قد رآه من خلال عيني جده.

ولكن في الوقت الذي ظلت فيه السماء هي الحد الوحيد لهم فإن الضغط البترولي قد ضعف، وهبط سعره فجأة. هذا الوضع الذي أدى إلى الإفلاس وتكدس فواتير المتطلبات، وخيبة الأمل

الكبيرة التي تبعتها مما أدى إلى قلب الموازين. فالطبقة الغنية من المليونيرات أصبحت طبقة متسولة، ومنابع البترول أصبحت منابع من السخرية الحقيقية.

هذه القصص التي كان يسمعها هذا الشاب من جده ورفاقه والتي كانت تسري في جسده كسريان دمه في عروقه أعطته حافزاً إلى الأمام لكي يستطيع أن يحقق هذا الطموح الذي طالما تطلع إليه جده. ومتأكداً أن هذا العالم لم يكن مسيراً إلا بطاقاته البشرية النشيطة اللانهائية، ولكي يعيد الاعتبار لهذا الاسم الذي كان يحمله عن طريق جده فلذلك سجل "شندلر" اسمه في جامعة "أوكلاهوما" وحصل على شهادة الدبلوم في "چيولوچية" الأرض. وللأسف الشديد فإن سحر جده قد غاب عن الوجود قبل أسبوعين من توزيع الجوائز. وبما أنه كان يريد أن يصبح «باحثاً عن الذهب الأسود مثله فالرجل الشاب قرر أنه يجب عليه أن يتعلم هذا عن طريق العمل على الواقع».

فلهذا وافق "شندلر" على كل أشكال العمل التي عرضت عليه من الأعمال القاسية جداً إلى الأعمال المعقولة وبالعكس؛ كان يعمل مع العمال غير الأكفاء والذين كانوا يتسلقون فوق السقالة مع أنهم كانوا من العمال المبتدئين.

وبعد هذا فإن هؤلاء الرجال قد تعلموا بسرعة غطرسة العمل المرة لكي يشموا رائحة البترول عن بعد حتى إنه أصبح يستطيع أن يستنشقه وكأنه يتلذذ به، ولم يكن هذا العلم يستطيع أن يتعلمه من الكتب أبداً.

عندما ارتفع سعر الوقود، وجد مولين وتربع على عرشهم، وبالرغم من بعض الآبار الجافة هنا وهناك التي رافقتهم فإن النقود كانت كثيرة. ولكن هذا الوضع كان بالنسبة له وسيلة وليس نهاية المطاف، وفي كل مكان عندما كان يحفر كان يضع نصب عينيه

حلمه الذي لم يتحقق بعد.

- كيف وجدتني؟

- لم يكن هذا سهلاً صدقني.

وأخذت "چولييت" بالشرح له كيف تعقبته راكضةً من مكان إلى آخر باحثة عن المعلومات التي التقطتها عنه من اليمين إلى الشمال. فتبسم "شندلر" مازحاً.

- تذكر يا هذا أنه لم يكن موجوداً عندي غير اسم جدك وذكرياتي أنا، أضافت هي.

- طبعاً، فإنه بالنسبة للزمان الذي مضى، لم يكن هذا بالشيء الفظيع.

نظر بإعجاب إلى حسه السليم بإعطائها تقلبات الزمن الذي مر بهم منذ بضعة أشهر وحتى الآن، ولكنه ظل مندهشاً لأنها لم ترد له حتى الآن صدار العمل الذي مازالت ترتديه.

- كنت مستعدة للعدول عن البحث عنك لولا أن قادني قدري إلى هنا في آخر لحظة.

- كيف هذا؟

واضعا عينيه الخضراوين على يدي زائرته سائلاً نفسه: أي نمط من الرجال هذا الذي يترك زوجته تغرق في وحل هذا العمل؟ وبدون أن تعرف ماذا عملت لكي تستاهل هذه النظرة المحتقرة منه، نظرت "چولييت" في هذه الأثناء إلى أظافرها المهملة ومفاصلها النحيلة جدا. هذا شيء طبيعي أن تكو ن يداها مهملتين إلى هذه الدرجة ولكن هل يجب عليها أن تهتم بهذه الأشياء الصغيرة؟

ساد صمت ثقيل في هذه الأثناء التي عملت "چولييت" جهدها لكي تكسره:

- بعد أن رفض موظف في البنك طلبنا هذا بإعطائنا قرضا لكي نحفر في أرضنا قال لنا إنه يوجد شخص ما على هذا الكون ولا

أحد يعرفه قد روى له هذه القصة المشابهة منذ حوالي أسبوعين فقط. ولا أستطيع أن أصف لك فرحتي في هذه الأثناء عندما أعطاني معلومات كافية عنك، ومؤكداً لي بأنك تعمل في هذا الحقل من منطقة (رودمبسيون كاونتي).

– إنه بالفعل يستأهل كل تهنئتي القلبية على معلوماته هذه...

لم يكن "شندلر" يؤمن بالحظ. فإذا كان يرغب في الحفر في المكان الذي أعلن عنه جده الكبير فيجب عليه أن يروي هذه القصص على جميع من حالفهم الحظ على التعرف على جده الكبير وحتى على هذا الرجل (موظف البنك) الذي كان يرغب كثيراً في الاستماع إليه.

توجهت العينان الزرقاوان للسيدة الشابة بحزن نحو الهاتف الموجود في المكتب.

لقد حاولت الاتصال بك كل يوم تقريباً ولكن دون جدوى.

– إننا نعمل أربعاً وعشرين ساعة كل أربع وعشرين ساعة منذ أن بدأنا الحفر هنا، شرح لها ذلك. قد تعرف "شندلر" على صوتها الدافئ وكان يرغب في محادثتها عندما يجد خمس دقائق فقط لنفسه.

– هذا الصباح ركبت سيارتي الشاحنة واعدة جدي بأنني سوف أجدك أو أقتل نفسي.

أنفها المليء ببقع النمش قد انطوى في هذه الضحكة، ضحكة الانتصار هذه التي بدت على وجهها، ولكن تذكرت أنها قد كذبت عليه كذبة صغيرة فلذلك، أرخت ناظريها إلى الأرض.

– هل تستطيعين أن تقولي لي لماذا تقدمت إلى البنك بطلب قرض؟

– لكي أستطيع أن أدفع ثمن أنابيب الحفر هذه وأغراض أخرى من هذا النوع.

– إن الحفارين هم الذين يدفعون مثل هذه المصاريف.

– جيسّي جيمس؟

– إنه أحد الأسماء المخلصين الذين كان جدي الكبير يردده على أحد موظفي البنك.

أحست "چولييت" بغبائها ولهثها عندما رد لها ابتسامتها هذه.

– وماذا قال لك أيضاً هذا النصاب؟

– وأنك سوف تدفع لنا الحقوق المستوجبة عليك في الحفر على أرضنا.

– ستة دولارات للهكتار الواحد، أكد لها هذا.

أجرت "چولييت" بذهنها بسرعة عملية حسابية: ثمانون هكتاراً والضرب في ستة دولارات.

– ولكن هذا لا يعطي سوى أربعمائة وثمانين دولاراً فقط لا غير.

– وستحصلين أيضاً على دخل جيد، إذا كانت البئر معطاءة، أكد لها هذا. نظراً لأن هذا العمل يساوي أكثر من هذا السعر الذي قاله فإن "چولييت" نظرت إليه بنظرة متضاربة.

– ماذا يساوي الدخل من هذا النوع؟

– الثامن من....

– أعطني أرقاماً وليس عمليات.

– أمهتمة أنت بهذا، هيه؟

ترك هذا وهو متذمر منها.

– إنني لم أقطع هذا الطريق باكمله لكي تتذمر مني أيها السيد "ماك كوي"!

قالت له هذا مستفسرة وهي تمد يدها نحو الورقة المرسومة على ظهرها المقادير.

– فإذا كنت لا تريد أن تسمعني فسوف أوجه خطابي هذا إلى شخص غيرك.

– مثلما تريدين.

وبسرعة متناهية أمسك "شندلر" بيدها قبل أن تستطيع أن ترجع الكارت الذي معها. كان يوجد عندها برميل واحد مقدمٌ من عنده ولن يتخلى عنه.

– ماذا تنتظرين مني، أيتها السيدة؟

– أنا اسمي "چولييت فلتشر"، قالت هذا باعتزاز بالغ. وعندي الرغبة في كسب عشرين ألف دولار.

– عشرون ألف دولارَ! صرخ بهذا، مذهولاً ومشدوهاً.

– إنني أريد فقط نصف الأرباح، هذا إذا كانت بئرنا معطاءةً.

– بئرنا، مدام "فلتشر"؟ أكد هذا بضحكة ساخرة.

– إن الكارت الذي معي والنقود التي معك تساوي هذا السعر. أليس كذلك؟

انزعج "شندلر" من السيدة الشابة لأنها ضربت على الوتر الحساس عنده؛ ولذلك، تخلص بسرعة من قبضتها.

– بماذا تفكرين أن أكون؟ هل تفكرين في كمحفظة ملأى بالنقود؟

متخوفة من أنها قد تجاوزت الحد معه أعلنت بهدوء تام:

– إنني أعرف أنني قد طلبت منك الكثير، ولكن مع حقلنا الذي يشرف على خطر الإفلاس ومع الفواتير المتراكمة على جدي الكبير للمستشفى...

في هذه الأثناء كانت عينا "شندلر" آخذة في النظر إلى يد "چولييت" والكلمات أخذت تتعثر في الخروج من فمه:

– ماذا يعمل إذن زوجك لعدم استطاعته سداد متطلبات عائلته؟

غضب شديد اجتاح "چولييت" فجأة والتي لم تحسب له أي حساب. فتمالكت نفسها بشدة وتركت لصوتها وبلهجة باردة أن يعلن عن وفاة زوجها:

– إن زوجي قد توفي.

الفصل الثاني

– ماذا تقولين؟

– إن زوجي قد توفي، أعادت "چولييت" قولها هذا مستعدة للجواب المعتاد: «أنا متأسف» ولكن هذا لم يحدث فقد تركها لفترة وجيزة بدون أي جواب.

– لقد اعتقدت بأنك متزوجة، رمى بهذه الجملة وقال شارحاً: إن الأرامل يضعن دائماً خاتم الزواج بعد وفاة أزواجهن في اليد اليمنى أيتها السيدة "فلتشر".

– إنه ليس عندي أية خبرة بدروس الشكل الاجتماعي هذه.

قالت وهي تحاول وقف دموعها التي تحرق عينيها. إنني في حاجة لعشرين ألف دولار.

– هذا أيضاً عامل آخر يصرخ من الجوع، لفظ بهذا ساخراً.

– إنك تتكلم مثل كل هؤلاء الحفارين الذين لا يوجد سوى بترولهم في رؤوسهم.

– ارجعي مرة أخرى لتريني.

قال هذا بتحد ورامياً ابتساماته المدمرة والتي فيها سره.

– إنك تستطيع بالفعل أن تأخذ كل ما تريد من المواد الخام في آبارك النفطية ولكنك لن تحصل على شيء من.....

– الرسالة وصلت.

قالها بجفاء بالغ قاطعاً عليها حديثها.

ومثل قطتين وحشيتين متقابلتين، كان كل واحد منهما يحلل شخصية الآخر. والحق يقال فإن "شندلر" قد أعطى القيمة الحقيقية للشخصية الظاهرة أمامه: إن بقع النمش وهذه البشرة المخملية للسيدة الشابة قد بعثت في نفسه ارتعاشا بينما كان فمها

النبيل ينبئ عن عقل متشوق. ووقع ناظراه على هذا القميص الرجالي محيطاً ببشرتها الناعمة وتساءل ما إذا كان هذا القميص عائداً لزوجها المتوفى. وبدت له "چولييت" بكل هذه الأوضاع المأساوية مغرية جداً بهذا اللباس الفضفاض.

والذي كان يثيره أكثر هو هذا اللون الأحمر الناري لشعرها الذي كان يتناسب جداً مع اللون الأزرق لعيني القطة التي كانت تمتلكهما.

وبطريقة أخرى فإنها تذكره ببئر هائجة تنتظر انفجارها. وكباحث حقيقي عن الذهب الأسود كان يحلل هذا الموقف كتحد لا يمكن مقاومته.

شعرت "چولييت" بدورها أكثر فأكثر بالانجذاب- الذي لا يمكن مقاومته- مولداً في جسدها الارتعاش الأكثر جنوناً. وكلاهما كان يتفحص الطرف الآخر ويتسرب إلى أعماقه لدراسة مخيلته محاولاً اكتشافها.

كان "شندلر" المجسد الحقيقي "للبترولي" المعتمد على نفسه، فظاً ومخاطراً بحياته معتمداً على قوانينه الخاصة به فقط. إن قميصه المليء بالعرق يغطي جسداً لينا وطويلا وعضلات رجل رياضي لم تتشكل في صالة رفع الأثقال، ولكنها تشكلت في الرفع الثقيل لهذه الأنابيب الثقيلة للحفار. سنوات من العمل الشاق تحت أشعة الشمس الحارة لمدينة "أوكلاهوما" أعطت لبشرته بريقا ذهبيا فائق الجمال. مع أنه بهذا الشعر الأسود غير المصفف، وهذا الذقن الطويل قليلاً لم تستطع "چولييت" إلا النظر إلى الخطوط الدقيقة لهذا الوجه المرفوع بعينين غريبتين من اللون الأخضر، محاطتين بخطوط من التجاعيد تدل على مدى تقديره لحياة المخاطرة التي يعيشها الباحث عن البترول.

"چولييت" أيضا لم تبد بهذا الاختلاف وبالأخص بهذا الفم

الجذاب الذي كان يدعو إلى تقبيله راغبةً. بخجل، أرخت ناظريها نحو خاتم الزواج الذهبي اللون الذي كان يذكرها بهذه الصبية الصغيرة التي تزوجت في شهر حزيران (يونيو) وهذا العامل الذي تزوجته واعدة إياه بحبها الأبدي. قد رجع ذلك إلى ذاكرتها الآن وضحكة زوجها "لاري" ووجهه الوقور. هذه الصورة قد اختفت بسرعة أكثر من مجيئها إلى مخيلتها.

- كيف مات ياترى؟

هذه الأعوام الثلاثة من البكاء المتواصل كانت وماتزال أيضا في ذاكرتها.

رفعت "چولييت" فجاة رأسها.

- عفواً ماذا تقول؟

- إنني أقول: زوجك... كيف مات؟ اعتقد "شندلر" أن فكرة هذا السؤال قد تركت أثراً في نفس هذه السيدة الشابة.

آه لو أنها تستطيع فقط التخلص من هذه الأحلام المزعجة التي تربكها خجلاً!!

- ماذا يهمك من معرفة هذا؟

رمت بهذه العبارة وهي تمسح دموعها. لقد ذهب "لاري" وأنت أملي المتبقي لي.

استعد "شندلر" لكي يشرح لها أنه كان من المستحيل عليها أن تتعلق برجل مثله، لأن لديه من المتاعب ما تكفيه ولكن قبل أن ينبس ببنت شفة انفتح باب المكتب وظهر هذا الرجل الطيب الكبير "تكس".

- خبر سار، سيدي، لقد حصلنا على البترول في حقل (ردفورك).

تلقى "شندلر" هذا النبأ بفرحة عارمة طغت على المعلومات القيمة التي تلقاها بالنسبة للبئر الجديدة. ويمكن أكثر بكثير..

متخلصاً بسرعة من الجريدة التي كانت بيده رجع إلى العمل.

– اعمل وصلة كهربائية وأعط عينة للتحليل.

– مسموع وتحت أمرك.

جاوبه "تكس".

أحست "چولييت" بكل حرارة الجو الذي ساد في هذا المكتب، وشعرت وكأنها قسم صغير من هذا الاكتشاف، وبان تشارك فرحة "شندلر"، ورفاقه ولكنها خوفاً من أن تزعجهم في اكتشافهم هذا مدت يدها نحو البطاقة الصغيرة لكي تاخذها قبل انصرافها.

– كلا.

هذا الأمر المعطى من صوت هادئ جعلها تقف في مكانها متسمرة.

سحبت "چولييت" يدها بسرعة هائلة ونظرت إلى "شندلر" باستغراب. وهو بدوره أعطى الجريدة لـ(تكس) معلناً له:

– السيدة "فلتشر" وأنا يوجد عندنا عمل يجب علينا إنهاؤه فابدأوا عملكم بدوني الآن، وإنكم تعرفون جيداً الطريقة التي يجب عليكم اتباعها في عملكم الآن.

– حاضر ياسيدي!

وبعد ذهابه، أخذ "شندلر" الكارت ووجهه نحو الضوء الآتي من النافذة الصغيرة، وبعد قراءته جيداً ولكي يضع حداً للإحساس الذي يراوده بدا له صعوبة الفصل بين الماضي والحاضر، وأيضا بين تأثره الداخلي والخارجي. ومن جهة فإنه من الجائز أن يكون هذا هو الكنز الذي طال انتظاره والموجود في أسفل قوس قزح. وأما من جهه أخرى فيمكن أن يكون هذا هو أول نهاية أحلامه وعلى كل الأحوال فإنه من الصعب خلط الأشياء الآن.

إلى هذه اللحظة ظلت "چولييت" كلها آذان مصغية لكي تثبت لنفسها أنها قد وضعت يدها أخيراً على الشخص الذي طال

البحث عنه. وبهدوء أخذت "چولييت" تنظر إلى شكله العام بعد هذا النهار الطويل. فقد كان شعره مجعداً وطويلاً قليلاً وهيئته كانت مرسومة وحادة وكأنها قد تقطعت من الهواء الجاف لمدينة "أوكلاهوما"، ولكن أبقت بناظريها مشدودين على هذا الظهر الجالس الغارق في هذا القميص المبلل والذي كان ملتصقاً بجسمه واضعاً لكتفيه العريضتين القيمة الحقيقية لهذا الجسد الفذ.

وبعصبية بالغة أرجع "شندلر" الكارت ملقياً نظرة سريعة على المقادير وسألها:

– هل صنعت هذه؟

– أرجو... أرجو المعذرة؟

– هذه الفطيرة من العجين المتخمر؟

– آه... كلا.

أعادت قولها هذا وهي منزعجة.

– لقد وجدت هذا الكارت مخبأً في صدار جدتي منذ شهرين فقط. لقد توفيت بعد أن أوصت لوالدي وجدي بإبقاء أغراضها كما هي في سقيفة المنزل لقد تجاهلت نهائياً وجودها إلى أن طلبت مني البحث عنها، وكنت أرغب كثيراً في عمل هذه الفطيرة، ولكنني كنت مشغولة جداً في الاعتناء بجدي الكبير وبزراعة ثمار "البندورة" وفي البحث عنك أيضاً.

نظر "شندلر" إلى ملابسها المهلهلة وإلى أصابعها الملفوفة سائلاً نفسه إذا كانت تخصص وقتاً قليلاً للاعتناء بنفسها. وفي هذه الأثناء فقط انتبهت "چولييت" إلى هيئتها والتي كانت منذ زمن بعيد في أحسن حال وفي وسط هذا الصمت الثقيل الذي ساد الغرفة أخذت تعبث بطريقة عصبية بهذا الخاتم (خاتم الزواج). وهذه الحركة التي بعثت في "شندلر" ولأسباب غامضة عصبية بالغة الشدة وقال:

– قولي لي.

سالها فجأة.

إلى أي حد وصلت قيمة التامين على حياة زوجك؟

– هل يتعلق هذا الأمر بالذي نحن بصدده الآن؟

– لقد طلبت مني عشرين ألفاً من الدولارات، هل تتذكرين، إنني فقط أحاول أن أؤكد لنفسي أنني لا أحاول أن أرمي بنقودي هذه من النافذة إذا قررت أن أحفر على أرضك.

– إذا كنت لا تثق بصدق قولي هذا، سيدي.....

إنك لم تجيبيني على سؤالي.

– لن أجيب عنه.

نظرت إليه بقوة مادة له بيدها.

والآن إذا سمحت بأن ترد لي كارتي فسوف أتركك لحالك.

– إنه لا يبدو عليك أنك قد أجبتني. هل أنا مخطئ؟

قال هذا مازحاً بضحكة على طرف شفتيه.

– دعنا نقل بأنه لا يوجد شيء مشترك بيننا ولنقف هنا فقط.

– أعتقد بأنك مخطئة.

– لا أعتقد هذا.

– هل تعلمين أن صناعة البترول أخذت طريقها إلى النهوض، منذ خيبة الأمل؟

– هل تعلم أيضاً أنه منذ ارتفاع برميل البترول إلى ثلاثين دولاراً فقد انخفض سعر القمح إلى دولار واحد للمكيال الواحد؟

– يوجد عندك الكثير من المعلومات....

وأنت أيضاً يوجد عندك الكثير من التقليل بالعائدات.

ردت عليه بدون أن تفقد رباطة جاشها.

حاول "شندلر" أن يجرب تكتيكا آخر معها:

– إن السبب الذي أبقاني في هذا العمل هو أنني قد حصلت

على الكثير من العائد من وراء آباري لكي يبقى رأسي مرفوعاً فوق الماء.

– لهذا أيضاً، السبب الذي أوقفنا عن حصاد القمح لأننا كنا نخسر مائة دولار في الهكتار الواحد.

تلاقت نظراتهما وبدأت معركة بالنظرات الحادة في الوقت الذي لاحظ "شندلر" بعضا من التعبير المفرح: كان أنفها ينبئ عن نسب أرستقراطي، وذقنها المربع قليلاً كان يبدو وكأنه من السلالة الآتية من الغرب. ويداها المزينتان بدتا له شفافتين وناعمتين، وبالرغم من نحافة جسدها فكانت تتمتع بشجاعة بالغة، وكان يخمن أيضاً بأن هذه السيدة الشابة كانت تقف ضد جاذبيتها التي لا تقاوم أكثر من وقفتها في هذه المعركة لإنقاذ مزرعتها. وأنه أيضاً لم ينس أبداً ملاحظة نهاية جسدها الجميل الذي قرر عنده أن يطلب هدنة من الوقت.

– وعلى كل الاحوال فإنه من الصعب أن أناقش الأمور المالية قبل أن ألقي نظرة على الأرض التي سوف أعمل عليها.

– ولماذا تريد أن تفعل ذلك؟

– لكي آخذ عينات من الأرض.

– وكم من الوقت سوف يأخذ هذا العمل؟

– أسبوعاً واحدا أو اثنين على الأكثر.

– هذا هو الوقت المناسب. لأن الدين الواجب علينا سداده للبنك يجب أن يسدد في غضون ثلاثة أسابيع على الأكثر.

– هل يوجد عندك شيء غداً؟

– يجب أن أصحب جدي الكبير إلى الدكتور.

قالت هذا وتعابير وجهها وفمها تطلب الكثير.

– وفي يوم الأحد؟

– فطيرة من الحلوى المتخمرة..

– هذا يبدو لي جيداً، قال هذا بضحكة عريضة كشفت عن أسنان ناصعة البياض وكلاهما بدأ بالضحك عندما لفت انتباههما صراخ عالٍ من الخارج وبالتأكيد هم ينتظرون وجود "شندلر" بفارغ الصبر علي أرض العمل معهم.

أرجع إليها كارتها على الفور وأخذ خوذته.

– إذن إلى اللقاء في يوم الأحد.

أعلن لها ذلك.

مضت فترة طويلة من الزمن والسيدة لم توقظ هذا الإحساس بشعور في نفسها وبهذا الشكل تكنُّ له الاحترام.

– على فكرة سيدة "فلتشر"، أرجو أن "تذكريني لكي أظهر لك ما يوجد عندنا من أشياء مشتركة.

الفصل الثالث

– طاب نهاركما!

رفع "شندلر" نظارته الشمسية لكي يضعها في جيب قميصه.

– عندي إحساس وكأنني قد قطعت عليكما عشاءكما.

– بل بالعكس فقد فضلنا التأخر في عشائنا على أمل أن تنضم إلينا.

– إذا كنتما لم تصنعا شيئاً خاصاً لي فسوف أقبل هذه المشاركة.

– هل هذا صحيح وأنت الذي طلبت مني أن أصنع لك هذه الفطيرة المختمرة من الحلوى؟! أيها اللعوب.

– إذن، فلنذهب مباشرة إلى الحلوى.

اقترح هذا وهو متجه نحو المدخل الكبير للمنزل.

– تعال. إنني أريد أن أقدمك لجدي الكبير.

وفي أثناء مرورها أمامه لتدله على الطريق لمسته هذه السيدة الشابة لمسة ناعمة خفيفة بثت في جسده ارتعاشاً كاملاً لأوصاله. وهي بدورها فإن هذا الرجل قد بدا لها أكثر خطورة من لو أنه غزا منزلها مهدداً بالسلاح.

ومن جهته، يجب عليه أن يعتاد وجود هذه السيدة الشابة أمامه. فإن شعرها الأحمر "الأيرلندي" المعقوص إلى الأعلى مظهراً بشكل واضح هذه البقع من النمش الموجود على وجهها. وكانت ترتدي فستاناً أزرق اللون بسيطاً جداً، لكنه كان يشف عما تحته: رجليها الطويلتين النحيلتين، والفتحة الكبيرة لقبة هذا الفستان تظهر جمال صدرها المنمق. ودهش أيضاً عندما رأى حالة يديها المعتنى بهما، وقد تأكد من أنها قد وضعت أيضاً طلاءً لأظافرها زهري اللون، وعلى أظافر أرجلها أيضاً والتي كانت مستترة قليلاً

WWW.BEWEY.COM

بصندل ناعم أبيض اللون.

رأته "جولييت" وهو ينظر إلى خاتم الزواج فتضايقت، ولهذا قطعت عليه بسرعة نظرته الفاحصه هذه.

– إن جدي الكبير ينتظرنا في الصالون، سيدي.

إن الرسم الخارجي الحاد لهذه السيدة الشابة يقول الكثير عن وضعها المادي، ولكن وضعها الداخلي ينبئ عن الدفء والوداعة. كانت الحيطان مكسوة بالخشب، وفي سقف الغرفة توجد مروحة كهربائية تلطف الجو.

هناك رجل كبير في السن يرتدي بنطالاً طويلاً فوق قميص بألوان متعددة، جالس على أريكة كبيرة والتي كانت منذ ثلاثين عاماً الصيحة الأخيرة للموضة والراحة،

– أرجو أن تظل مرتاحاً، سيدي.

أعلن "شندلر" وهو متجه نحوه.

«بات ديون» كان يتنفس بسرعة وليس بالشكل الصحيح، ولكن كان يجهل كلمة «الاستسلام».

– إن اليوم الذي لا أستطيع فيه أن أقف لأرحب بضيوفي سوف يكون هو يوم دفني فقط.

وبسرور بالغ، ضغط "شندلر" على يده مصافحاً هذا الجد المليء بالحيوية، والذي شعر وكأن صلة قرابة تربطه به.

– يجب أن تكون جداً لي بل والدي أيضاً.

– سوف أكون هذا للوقت الذي بقي لي من العمر.

مؤكداً ومادا له يده المليئة بالتجاعيد من كبر سنه.

تاركةً إياهما يتبادلان أطراف الحديث هذين الصديقين الجديدين اختفت "جولييت" في المطبخ وشعرت بالمفاجاة الكبيرة من التفاهم الجيد الذي بدا بينهما مما أثرى الحديث: وإذا رفض "شندلر" البحث عن البترول في أرضها فإنها على الأقل اكتسبته

صديقاً جديداً لجدها لان أصدقاءه كانوا إما متوفين وإما لا يستطيعون المجيء إليه لشدة مرضهم.

عندما عادت "جولييت" إلى الغرفة، نهض "الجيولوجي" لملاقاتها وأخذ منها صحن التقديم، بينما تغيرت "جولييت" وبدا عليها الاحمرار من شدة الخجل الذي انتابها إثر نظرته إليها، وبعدها قدمت له كاسا من الشراب، وخلال نصف ثانية من الوقت تلاقت أصابعهما مما أيقظ فجاة أحاسيسها التي نامت منذ زمن بعيد وكانها أرض شديدة البرودة.

– كان "شندلر" يروي لي مدى عشقه للحافلات القديمة.

رمى بهذا "بات" الرجل العجوز الذي لم تفته ملاحظة ما بين الأرملة الشابة وهذا الباحث عن الذهب الأسود.

– كنت أريد أن أقدم أشيائي القديمة الثمينة إلى السيد "لاري" ولكنه لا يعرف شيئاً عن السيارات.

أضاف هذا بنية صافية.

إن ذكر زوجها قد أرجع إلى الوجود الظرف الذي لم تستطع "جولييت" إلا أن تقطعه فقالت:

– هذا مضيعة للوقت باهظة الثمن.

– هذا يعود إلى ماذا نعني من كلمة «باهظ الثمن».

علق "شندلر" بهذا واضعاً قدميه الواحدة فوق الأخرى كاشفاً عن حذاء باهظ الثمن وملمع جيداً الأمر الذي يدل على أن العالم لم يكن على حافة الانهيار.

– ولكن أكون مسروراً جداً بإلقاء نظرة على أغراضكم القديمة الثمينة وأن أقيمها لكم.

أضاف هذا.

سالته "جولييت" بطريقة ساخرة:

– وهل من الممكن أن تحتفظ بحافلاتك القديمة حتى الآن. سيد

"ماك كوي"؟

– عندما يقع ناظري على شيء يعجبني، مدام "فلتشر"، فإنني أترك الكلام لدفتر شيكاتي.

– إن المادة ليست دائما هي السبب، قالت هذا بمرارة بالغة.

– الشيء الوحيد الذي عرفت المادة أن تقوله لي هو «إلى اللقاء» تمتم الجد بهذا.

– إذن لنشرب نخب هذا.

اقترح "شندلر".

– الذي يعيدنا إلى السبب الحقيقي من زيارتك هذه.

يشرح "شندلر" المعايير التي يستطيع بها أن يختار مكان البئر، كان يتحدث فقط عن العينات التي يأخذها من الأرض ولكن لم ينوه بأي شيء عن حلمه القديم:

بالنسبة لشعار جده فإن هذا لا يخص أحداً غيره.

تركتهما "چولييت" يتحدثان وغادرت الغرفة غارقة في الحلم بكل ما تستطيع أن تعمل بهذه النقود التي يمكن أن تأتي بها البئر. ولكن حين عودتها أثبتت لنفسها الخوف على حياتها.

– ماذا جرى؟

صرخت بهذا وهي تكتشف أن جدها يتنفس بصعوبة بالغة.

– نوبة من ضيق التنفس على ما أعتقد.

هرعت السيدة الشابة لتأتي بالدواء فانطلقت صاعدة السلم وعادت أدراجها بسرعة.

– أعرف جيداً أن هذا سوف يسبب له انفعالا شديداً.

شرحت لـ"شندلر" هذا بعدما أعطت الحبوب للرجل الكبير ليتناولها.

– قليل من السعادة لا يسبب أية أضرار. أضاف "الچيولوچي".

– ألا تعلمين أن هذه النوبة من ضيق التنفس يمكن أن تقتله؟

– إذن فسوف يكون قد مات سعيداً.....

لم تستطع "چولييت" الرد عليه. إن وجود هذا "الچيولوچي" يعني الكثير من الأمل بالنسبة لجدها الذي كان بحاجة بالغة إلى هذا. أما بالنسبة إليها....

– يمكن بل ويجب عليه أن يأخذ قسطاً من الراحة، قبل العشاء. هل من الممكن أن تساعديني فسوف أضع هذا المقعد هنا بطريقة لا يتوجب عليه صعود هذا الدرج معها.

أمسك "شندلر" "بات" من تحت ذراعيه وساعده على الاسترخاء. سحبت السيدة الشابة الجلايل وأرخت على قدميه غطاء يقيه البرد. وبعدها انحنت عليه وقبلت وجنتيه.

– العشاء سوف يكون جاهزاً خلال نصف ساعة من الزمن، سيد "ماك كوي".

وبعد أن أغلقت بهدوء باب غرفة الطعام وقادته إلى غرفة الضيوف المليئة بأشعة الشمس، انتبه "شندلر" إلى إنها لا ترتدي شيئاً تحت فستانها الشفاف هذا. لم تكن "چولييت" قد انتبهت للفستان الذي يشفها كاملة ولكن "شندلر" لم يخبرها بهذا.

– يجب أن أتحدث معك، سيدة "فلتشر".

– بخصوص ماذا؟

– لنخرج أولاً إلى التراس، اقترح عليها هذا.

وفي الوقت الذي وضعا قدميهما في الخارج هب هواء عاصف رفع فستان "چولييت" حتى ركبتيها، وبما أن "الچيولوچي" لا يضيع أية ثانية من وقته فقد اكتشف جيداً أنها تتمتع برجلين جميلتين جداً....

– تريد أن تكلمني، قالت له هذا بعد ملاحظته.

نظرة "شندلر" قد تفحصت جيداً جسد هذه السيدة الشابة وكأنه يريد أن يبقي في ذاكرته هذا الجمال الفائق الذي يعرض أمام

ناظريه.

– منذ متى وجدك مصاب بهذا المرض الرئوي الذي يصيب المزارعين؟

– كيف اطلعت على هذا؟

– لقد قمت بحفر آبار المياه لكثير منهم وعلى الأغلب فإن نصف هؤلاء عندهم الأعراض المرضية نفسها.

– إنني أتذكر أن هذه النوبات الصدرية قد بدأت في العام الفائت عندما كانت هذه العاصفة الرملية السوداء قد غطت مزارعنا وأدت إلى هلاك كل المحصولات، وأن جدي وزوجي "لاري" قد عملا ليلاً ونهاراً لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وقد عادا وهما مملوءان بهذه الوساخة السوداء.

– وهل توفي "لاري" بهذا المرض؟

– كلا.

أجابته بدون رغبة في إضافة أي شيء آخر.

وتردد "شندلر" في طرح سؤال ناعم ولكنه مفيد:

– تحت أي اسم استغلت المزرعة؟

– نحن نمتلكها، جدي وأنا، بالاشتراك يبدو أن هذا الشيء يدهشك.

– إنه فضولي أكثر.

انتبهت "چولييت" في هذه الأثناء إلى ذقنه الذي لم يحلقه هذا الصباح وظنت أن هذا قد ضاعف شعورها بالقرب منه.

– إنني لا أفهم...

– لماذا لم تبق المزرعة باسمك أنت ثم تطلبين مساعدة "طبية" له؟

– المزارعون يريدون المساواة– سيد "ماك كوي"– وليس العطف.

– إن أفكارك قيمة جداً، ياسيدتي، ولكن يتهيأ لي أنك تجعلين عزة النفس تتغلب على الفائدة.

– وماذا يعني هذا....؟

– هذا يعني أنك تستطعين أن تضعي جدك في دار للمسنين وتهتمي أكثر بهذه الأراضي المستغلة من قبل الغير، وتجعليها مثمرة أكثر.

أحست "چولييت" بكلماته وكأنها سكين يقطع صدرها. وظلت صامتة لبعض الوقت بكبرياء ناظرة إلى "الچيولوچي" بغضب شديد.

– هذا هو أنت الذي كنت تقول لي إنك مهتم بهذا! يجب أن أقول لك أنك مقامر وقاس للغاية: فإن جدي قد رأت عيناه النور فوق هذه الأرض وهنا سوف يغلقهما إلى الأبد.

وقفت بشموخ بالغ أمام "الچيولوچي" وأمسكت بمقبض فأس في يدها بأطراف سترته وأضافت:

– هذه المزرعة هي كل حياته والتي سوف تكون أطول من حياتي ولا أحد يستطيع أن يخرجه منها!

هذه المجابهة الفجائية لم تهيج إلا أعصاب مخيلة "شندلر" التي دفعته فجأة لأخذ هذه السيدة بين أحضانه، وهمت "چولييت" بإبعاده عن طريق كتفيه، بأن تذكر نفسها بأنه ليس إلا باحثاً ماراً مرور الكرام، وسوف يختفي من حياتها إختفاءً سريعاً أسرع من الوقت الذي دخل فيه إلى هنا. ولكن الحاجة الماسة التي كانت تشعر بها هذه السيدة لأحد يحميها طغت على غضبها الثائر واستسلمت لعناقه وكأن الغد لن يأتي أبداً.

منتظراً طوفاناً من الدموع، عانقها "الچيولوچي" بقوة أكثر ولكن "چولييت" رفعت رأسها نحوه بعينين جافتين. وبدت وكأنها متضايقة جداً من استسلامها له.

– إنني أعتذر ، تاركة إياه بحيوية. متضايقة من نفسها على تصرفها هذا فالقت بناظريها نحو الحقول الجافة التي يجب أن تكون في مثل هذا الوقت في كل عام قد اخضرت من نبتة القمح والشعير.

– إنني لا أعرف ماذا دهاني...

– لا عليك ولكني أؤكد لك بانني لم أعانق بين أحضاني في حياتي امرأة أكثر أنوثة منك.

جرحت بطريقة غريبة إثر اللهجة غير المبالية التي تكلم بها الآن، أعلنت "چولييت":

– هل توجد أشياء أخرى تريد مناقشتها، سيد "ماك كوي"؟

– "شندلر".

– عفواً؟

– اسمي "شندلر".

هبت رياح شديدة في هذه الأثناء، الأمر الذي رفع فستانها نحو صدرها ليلتصق به وبدأ بالدوران.

– ماذا أيضاً؟

– أيضاً، يجب علي أن أسمعك تقولين هذا.

– لماذا؟

– هيا، "چولييت".

وحين نطق باسمها من فم هذا الرجل بدأت دماؤها في الغليان في شرايينها وخاصة عندما أخذها من يديها وأدارها ليبقي الهواء في ظهرها فقط والذي أصبح يلطخ وجه "الچيولوچي" الآن.

– "شندلر" كفاك مضايقة لي.

أحست وكأن المسافة بينهما أصبحت بالسنتيمترات التي كانت بالنسبة إليه بالكيلومترات ولكنها أعانته بالقول:

– حاضر.... "شندلر".

– تماماً، أضاف هو بضحكة ساخرة مانعاً إياها قبل أن تبحث في جيبها لكي تأخذ الكارت الصغير الذي يمكن أن يحقق حلمهما الأبدي.

– وبما أننا نقف على عتبة الأسماء فإنك تستطيعين أن تتمني لي «الحظ السعيد» وأنا بدوري أستطيع أن أقول لك «شكراً، "چولييت"».....

– سيد "ماك كوي"...

– "شندلر".

– "شندلر"، أعادت هذا متمتمة بصوت خافت.

– أعيديها مرة ثانية، طلب منها هذا.

طأطأت رأسها وكأنها تختبئ من هذا الشعور الذي انتابها، والذي ليس له أية علاقة بالهواء العاصف القادم من الجنوب و"الچيولوچي" مد لها يده من تحت ذقنها ورفعه لها دافعاً إياها لكي تؤكد ومثل المحبين المشدودين الواحد للآخر فإن أنظارهما التقت مع بعضها البعض.

– حظ سعيد "شندلر".

– شكراً "چولييت".

انفعال من الشعور الجديد الذي لم يجرؤ أحدهما أن يسميه قد حصل بينهما. وبعدها ترك "الچيولوچي" يده لتهبط ورجع إلى الوراء قليلاً وقال:

– سوف أرجع خلال ساعة من الزمن وربما شهر.

– إن وجبة الفطور سوف تنتظرك.

أضافت "چولييت" وكأنها تسمرت في مكانها.

«ممنوع تدخين الغليون» قال "شندلر" هذا لنفسه وهو غير قادر على التركيز في عمله. وفي حقل الشعير حاول استنشاق الهواء ولكن أفكاره العميقة ظلت باتجاه هذه السيدة صاحبة الساقين

الجميلتين وصورة هذا الخاتم الذهبي الذي كانت تضعه في أصبعها. قام بعمل القسم الأكثر سهولة من عمله: وشيء غير عادي لا يستطيع شرحه قد انتابه أمكنه من رائحة التعب عندما يكون البترول في أغلب الآبار. ولكن كيف للذئب أن يشتم أية رائحة مهما كانت عندما تكون في مخيلته الرائحة الزكية لهذه السيدة؟

"چوليت" التي توفي زوجها والتي كانت تعطي المزرعة أكثر وقتها، والذي كان جدها أيضاً آخذاً من وقتها الكثير لم يبق له سوى أيام معدودة في هذه الحياة فقد رفضت "چوليت" الاستسلام إلى البكاء والاستسلام لأحد يحبها، وكانت أكثر حزناً أيضاً لأنها لا تريد أن تستسلم له أبداً.

ظن "شندلر" كان شيئاً ما قد تغير، فغير وضعه ورفع رأسه وتنفس الصعداء ووقف متحدياً. فأية سخرية هذه! فقد أمضى خمسة عشر عاماً ساعياً وراء إنقاذ سمعة جده والآن لم يبق له سوى خطوتين للوصول إلى هدفه الذي وضعه نصب عينيه وهو هدف جده، فماذا يعمل؟ لقد ظل هنا واقفاً يسمع خلجات قلبه أكثر من أن يحاول تحريك قوته في العمل الجاد.

كانت "چوليت" تتمتع بشعر جميل جداً وبهذه البقع من النمش التي تزيدها جمالاً وأنوثة وبساقين رائعتين... وماذا يخفي هذا الجسم من الجمال أيضاً؟

هذه المرة لقد أحس بالفعل بهذا التعب الجاف. مغلقاً عينيه، تنفس بعمق ومنتظراً هذا الدخان المؤذي يملأ أنفه ليعانق رئتيه.

هب هواء جاف ملأ شعره وملابسه وحذاءه بغبار أحمر اللون. فتح عينيه ونظر نظرة جامدة ومتحيرة.

هل من الممكن أن يكون قد ذهب بمخيلته بعيداً أم هل الكارت كان خطأ؟

وهل من الممكن أيضاً أن يكون قد حان الوقت لمغادرته هذا المكان لكي لا يقع في غلطة ما تكلفه كثيراً؟ دخان من البركان تطاير في السماء مخلفاً وراءه أشكالاً دائرية تتسع أكثر فأكثر. تتبعها "شندلر" بناظريه لفترة من الزمن وبعدها اتخذ هذا القرار. "لتذهب إلى الجحيم هذه النقود"...

فسوف أحفر هنا. هذا بالنسبة له شخصياً، وبالنسبة لهؤلاء الكبار الذين مازالوا يجرؤون على تحقيق هذا الحلم، وبالنسبة لـ...

"الچيولوچي" عمل نصف دائرة وتوجه نحو المزرعة.

"چوليت"... لم تكن من النوع الذي يحلم به فإذن لماذا يشده هذا الشيطان إليها إلى هذه الدرجة؟

رأت السيدة الشابة قدومه إليها من بعيد. الخطوات هادئة، إنه يتقدم بكل ثقة الرجل المعتمد عليه، ولم تستطع إلا أن تقارنه بزوجها "لاري" الذي كان يمشي بخطوات ثقيلة جداً وكان عبء العالم محمول على كتفيه. ولقد أحست من جهة أخرى بإحساس الأمان والدفء أكثر بين ذراعي "شندلر" من ذراعي "لاري". وبدون أدنى شك لأن هذا الأخير كان نادراً ما يشكو التعب. هذه السنون التي مرت بها بدون حب، فبدلاً من أن تدفن رغباتها الجامحة فقد أظهرتها، وإحساس خاطئ قد ملأ كيانها. إن من المستحيل أن تشرحه. فهذان الرجلان كانا على اختلاف ماعدا في نقطة واحدة، فإن "لاري" قد بعث فيها شعوراً مجنوناً قبل أن يكسر قلبها. وها هو "شندلر" أيضا يريد أن يفعل نفس الشيء... إذا تركت له العنان.

في الأعماق، فيم يا ترى كان يفكر نحوها؟ فهذا الشعر الأحمر جذاب وهاتان الساقان الطويلتان ظلتا الشيئين اللذين كانت تفضلهما في شخصيتها واللتين كانت تكرههما في طفولتها. ومثل أغلبية الأطفال ظلت "چوليت" متمسكة بالجدية

وبالدراسة لمتابعتها للنهاية. ولقد أحست "چولييت" بأنها مختلفة عن الآخرين. ولقد فقدت والديها في حادثة سيارة، فإنها كانت دائما هذه اليتيمة ذات الشعر الناعم الجزري اللون متمتعة بساقين طويلتين نحيلتين وهذه البقع من النمش التي طالما كرهتها واليوم وهي في التاسعة والعشرين من العمر فقد اقتنعت بانها كانت تضفي على وجهها جمالاً طبيعياً أخاذاً.

هذا لم يجعلها تتخلص من النظرات التي كان "شندلر" يضايقها بها أثناء وقت العشاء. ومن عينيه الجميلتين الخضراوين تابع "شندلر" التمعن فيها، ولكي تقطع عليه هذا التحديق وقفت "چولييت" لتتخلص من هذه الطاولة أو من هذا المكان قبل أن تاتي بالفطيرة الطازجة التي أعدتها كحلوى في آخر الطعام.

– قليل من الماء انساب تحت الجسور قبل أن أعمل أي شيء.

أعلن "شندلر" بتمعن.

– بدون أدنى تعب، أضاف الجد الكبير.

بنظرتين حائرتين تلفت نحوه.

– إنني أفكر في شيء ما، تابع، فالآن و "شندلر" يريد أن يحفر لنا هذه البئر فإن باستطاعته الإقامة عندنا....

– إنك تقرأ الأفكار؟ سأله "شندلر". والذي كان قد قرر هذا ولكنه لم يعط بعد جوابه.

– إقامته عندنا؟ أعادت "چولييت" وهي تنظر إلى جدها وكأنها أصبحت مجنونة. هل تريد القول بأن يسكن عندنا هنا؟

– بالنظر إلى الشيء الذي يريد أن يعمله لأجلنا فإنه أقل شيء نستطيع أن نقدمه له ياصغيرتي. وبما أنني أنام الآن هنا في الأسفل فإنه يستطيع أن يستعمل غرفتي.

... وهي غرفة موجودة مقابل غرفة السيدة الشابة مباشرة...

– إذن ماذا تقولين يا "چولييت"؟

– أنا... أنا أعتقد بأنك سوف تعيش أو تقطن في "الكرڤان" الذي تستعمله كمكتب لك.

كان ذلك من الطبيعي على جدها لأنه كان في حاجة إلى رفيق إلى جانبه. مع أن "چولييت" كانت لا ترغب في أن تمضي كل ليلة على بعد أقل من متر واحد من غرفة هذا "الچيولوچي" الذي كان يتمتع برجولة فذة وهي كانت تتمتع بأنوثة بالغة...

لقد ظنت أنه سوف يرفض هذا العرض.

– هل تريدين له أن ينام في هذا المكان– مكان الثعالب؟

أعلن "بات" وهو منزعج.

– مكان "الثعالب"! هكذا وصفت مكتبي؟ رمى "شندلر" بهذا وأحس كأنه منبوذ.

احمر وجه "چولييت" خجلاً ولكنها لم تستطع أن تعلق بشيء ما.

– هل ترغب في أن أصفه كحظيرة للخنازير؟

– وهل بدت لك أوسخ من هذا؟

– نعم، اعترفت له بهذا.

– إذن، وبما أننا قد قلنا كل ما عندنا فإنني أرغب الآن في قطعة من هذه الفطيرة وكأس من القهوة الساخنة.

لم يكن شيء قد قيل بالنسبة لـ"چولييت". وهي تقطع قطعة من الحلوى، سألت نفسها ما إذا لم يكن الوقت قد تأخر لتطلب العامل الذي يغير الأقفال؟ نظر "شندلر" في هذه الأثناء إلى السماء واندهش عندما رآها فجأة بهذا السواد الكاحل في الليل. السيدة الشابة مرت بذراعيها حول الأعمدة المصنوعة من الخشب والتي كانت تحمل التراس الموجود في الأعلى ووضعت خديها عليها لكي تحس بقليل من الرطوبة.

– شكراً لمساعدتك لي بوضع جدي في السرير. إنه يحبك

كثيراً.

– اسمعي:

نظر إليها "شندلر" واقفاً على الدرجة الثانية من السلم وملتفتاً نحوها، إنني أعتذر عما قلته بالنسبة "لمأوى العجزة". إنه يتمتع بالحظ الكبير لوجودك معه.

– إنها تقاليد العائلة، لقد اعتنى بتربيتي بعد أن فارق والداي الحياة. إني مدينة له بهذا.

كانت هذه الليلة بدون أية نسمة ومليئة بالسكون القاتل والتي لم تعد للكلمات مكان لها هنا. والقمر البدر كان يضيء هذه الحقول غير المثمرة الممتدة نحو الأفق.

ولكن هل هي إلى هذه الدرجة من الجفاف؟ سالت "چولييت" نفسها؛ وإنها بالعكس تخفي ثروة تحت هذه الأرض؟ إنها لن تعرف هذه الإجابة إلا حين يبدأ "شندلر" بحفرها لكي ياخذ بعض العينات. وظل "الچيولوچي" يتحدث بعد ظهر اليوم باكمله عن البئر التي سوف يصنعها على أرضهم والسيدة الشابة تضحك متذكرة جدها عندما أعلمته بالعشرين ألف دولار التي سوف ياخذها عندما يوقع ورقة العقد بينهم هم الثلاثة.

كان مشدوداً جداً نحو هذه الفكرة لدرجة أن "چولييت" رأته وكأنه قد غرق في انفعالاته الشديدة من وقت لآخر والتي شاركته فيها "چولييت" أيضاً.

– سوف يكون الغد أفضل، تمتم "شندلر" في ظلمة هذا المساء. لقد وجدها جميلة جداً وأكثر جاذبية والتي لم يرغب أن يراها حزينة.

– إنني أعتقد... بأنك تعرف انه من المؤكد أنك سوف تقطن هنا في هذا المنزل؟

– ومن المؤكد أيضاً أنك لن ترفضي ضيافتي عندكما.

– نعم، اعترفت له، أنا أيضاً.

– لماذا؟ سالها واضعاً عينيه في عينيها.

– إنني خائفة من أنك سوف تؤلمه، ادعت بهذا وهي راجعة إلى الوراء. إنني خائفة من أن يتعود عليك ويمكن أن يحبك أيضاً. وعندما تريد مغادرتنا....

– اذهبي إلى الجحيم أنت وأفكارك السخيفة. إنك تكذبين مثلما تتنفسين، "چولييت".

– إنني لا أفهم عما تتكلم.

– إنك لا تخافين بأن أجرح شعور جدك بل تخافين أن أجرح شعوركما أنتما الاثنين.

صرخ بهذا وهو يتوجه نحو التراس.

– إنك قاسية، احتج على هذا بعصبية بالغة.

– آه طيب؟

لفظ بهذا وهو يتقدم نحوها كالحيوان الذي وجد فريسته.

كانت السيدة الشابة حتى الآن مستندة بظهرها إلى الحائط وكانت تحاول أن تحذر من التعبيرات التي وجدتها على وجه "شندلر" تحت ظل شعاع القمر المضيء.

– ماذا... ماذا تعملين؟

– بعد إذنك؟

واضعاً نفسه أمامها ويداه على العمود الخشبي ملتفاً حول جسد السيدة الشابة ولم يترك لها المجال للهرب منه.

– إنني أظن أنك... سوف تقبلني.

وأرخى "شندلر" وجهه ليقترب من وجه "چولييت" وبهدوء رمى بجسده نحوها لكي تحس بدفئه. وأخفى ناظريه اللذين وقعا فجاة على خاتم الزواج الذهبي.

– ليس الآن، همس لها. ولكن لاحقاً....

وبهدوء رجع إلى الوراء وعصفور الليل يشدو بصوته الحزين. وبدورها أخفت "چولييت" لحظة هذا الخاتم الذي كانت تضعه في أصبعها، ورفعت رأسها نحو وجه "الچيولوچي" هذا.

– سوف أعلمك بالوقت الذي أقيم فيه هنا معكما.

هتف بهذا وبخيبة أمل عضت "چولييت" على شفتيها مقتنعة تماماً بأن الكارت الذي كان يحمله معه لم يكن سوى مقادير لآلامٍ جديدة.

الفصل الرابع

انتقل "شندلر" إلى المسكن الجديد في يوم الأحد، وبعد خوالي أسبوع من سكنه كانت "چولييت" مستعدة تماماً لترك نفسها معه. أما بالنسبة "للچيولوچي" فكان مشغولاً جداً في هذا الموقع الجديد.

لم يكن يريد أن يعمل لنفسه قيمة أكثر من اللازم مع أنه يظهر بعضا من الحضور. كان طوله حوالي متر وخمسة وثمانين سنتيمترا وجسمه متناسقاً جداً بدون ترهلات دهنية أو شحمية. وكان يتعرض لهبوب الرياح الشديدة والمتجمدة، والهواء العاصف الذي يشعث شعره، وجسده كان يشعر بحرارة الشمس وبالهواء المتسخ؛ ومن كتفيه العريضتين اللتين تنبئان عن القوة، وبالنسبة لـ"چولييت" فكان المنزل يرن أحياناً– قليلة جداً – بضحكاتها، وفي بعض الأحيان عندما يدخل الغرفة التي تكون موجودة فيها، فينتابها شعور بعدم وجود أوكسيچين يكفي لشخصين.

على كل حال فإن "شندلر" قد غير عاداته. ففي اليوم الأول صباحاً تلاقى الاثنان في الممر أمام غرفة الحمام ونصفه الأعلى كان عارياً بينما كان يرتدي بنطالاً من الچينز المفتوح قليلاً، أما هي فكانت قد بدت في قميص نومها الزهري الذي كان مغلقاً حتى أذنيها.

في اليوم التالي أمضى "شندلر" طوال فترة بعد الظهر في تصليح الحافلة القديمة الخاصة بالسيد "بات" و"چولييت" كانت منزعجة جداً من ضجيج الأدوات التي كان يستعملها فوق السيارة، الأمر الذي جعلها من المستحيل التركيز على قصصها ورواياتها التي كانت تقرأها.

أخيراً وفي أول السهرة ظل "شندلر" والجد يتحدثان ويلعبان

ورق الشدة حتى آخر الليل. والسيدة الشابة لم تستطع أن تقرأ ولو سطراً واحداً فقط من الكتاب الذي معها ولا حتى الخلود إلى النوم.

ضحك... هذا الذي- ومنذ زمن بعيد جداً- لم تسمعه يضحك. بعد وفاة "لاري" اختارت الاستمرار في مصارعتها، ومهما يكن من الصعوبات في هذا الاختيار فلن تتراجع أبداً عنه. لأن "چولييت" قد أحبت أرضها ولن تعيش إلا للدفاع عنها مهما طال الزمن عليها وحتى إن لم يصبح القمح كالسيف الذي يطاول السماء من شدة طوله فسوف تبقى في زراعة ثمار "البندورة" التي يعاونها في شرائها مشترٍ من مدينة "أوكلاهوما".

اليوم.... وبعد أسبوع من العمل الشاق....

- "چولييت"!

- "شندلر"! أخذ قلبها يدق في صدرها، وبدون أن تعرف تماماً ما إذا كانت هذه هي المفاجأة من رؤيته أو أن المرآة الصافية والواضحة لـ"شندلر" والتي أحدثت في نفسها وقعاً جديداً. خارجة نحو التراس، اندهشت:

- كنت أظن أنك سوف تخرج مع رجالك هذا المساء.

في خطوتين طويلتين لاقاها.

- كانت هذه فكرتي إلى أن جاء السيد "تكس" وقال لي إن هناك حفلا راقصا سوف يقام في مكان ما، ولكني لا أعرف أين...

- على بعد ثلاثة كيلو مترات من هنا، قالت ذلك متوجهة نحو الأرجوحة الخشبية.

- وهل ذهبت إلى هناك من قبل؟ سألها وهو مرتكز على عمود من الأعمدة الموجودة هناك.

- عدة مرات مع صديقتي "لوريتا".

- وبدون "لاري"؟

- إنه لا يحب الرقص.

- وهل تريدين الذهاب هذا المساء؟

- كيف؟

لم تكن "چولييت" تتوقع منه هذا السؤال.

- لقد سمعتني جيداً.

ومن جيب قميصه، أخرج "شندلر" سيجارة وقداحة فضية محلاة باللون التركوازي. يريد إنه يمنع نفسه من التدخين داخل المنزل، خوفاً على صحة "بات" ولكن لأنه يريد أن يشغل يديه في التدخين عوضاً عن الذهاب المؤكد إلى خصر هذه السيدة الشابة وشدها نحوه. تطلعت "چولييت" جيداً إلى وجهه الذي أناره اللهب المتصاعد من القداحة الفضية وتجاهلت كل أحاسيسها التي صادفتها منذ لقائهما أمام صالة الحمام في ذلك الصباح. كان "شندلر" يعرف جيداً ويعمل بكل قواه لكيلا يأخذ بين ذراعيه هذه الحزينة ذات العينين الزرقاوين والتي هبطت عليه من السماء.

من جهة أخرى فإن "الچيولوچي" قد لاحظ جيداً انشغالها في كل مرة يتلاقيان فيها هما الاثنان في ذات الغرفة. كانت "چولييت" تختلق الأعذار دائماً لكي تتهرب منه وتتجاهله ولكن على كل حال.....

أحس "شندلر" بثقل من كثرة الأكل الذي تناوله، وسألها وكأنه يريد أن يخرج من هذا المأزق، لقد قرر العدول عن العيش معهما، ويريد أن يقول ذلك لـ"چولييت" وأنه يريد الرجوع بداية من يوم الغد إلى السكن في "الكرڤان" ولكن هذا منعه.

- شكراً لدعوتك، ولكني لم أرقص منذ زمن بعيد جداً، وأخاف أن أكون قد نسيته فعلاً.

وبدلاً من أن يهرب من هذا ولا يعرف كيف، وجد لنفسه

الوسيلة لكي يلزمها فيها على قبول الدعوة لمرافقته.

– الرقص هو كالذي يقود "الدراجة"، فمرة واحدة تتعلمينها، سوف تتذكرين كل شيء.

– إنني لا أدري بعد...

قبول هذه الدعوة كان بالنسبة لـ"چولييت" كالذي يمسك بقطعة من القماش الأحمر أمام ثور هائج. ولكن من جهة أخرى كانت ترغب جداً في الترويح قليلاً عن نفسها.

– هيا إذن لنذهب، أصر على هذا بنظرة براقة. ضعي عليك تنورة ما والحقي بي.

– وإذا استيقظ جدي وطلبني إلى جانبه؟

– بينما تبدلين ثيابك سأتكلم مع "سكيني" في الهاتف وأطلب منه المجيء إلى هنا للاعتناء به والسهر عليه.

ألقت "چولييت" نظرة فاحصة على هذه الإنارة التي تضيء البئر الموجودة حديثا وإلى هذا "الكرڤان" الذي يعيش فيه عمال هذا الحقل.

– ماذا يجب علي أن أقول؟

– جربي «نعم».

ذهبت "چولييت" لتبديل ملابسها فرحة وعلى وجهها ضحكة براقة...

– إذن هو حقيقي. نعم.

– سوف أتفحص إذا كان كل شيء على ما يرام بالنسبة لجدك وساكلم "سكيني"، أوضح "شندلر" هذا فاتحاً لها باب الغرفة.

سائرة إلى جانبه استنشقت السيدة الشابة رائحة عطرة.

– سوف أجدك هنا بعد حوالي عشرين دقيقة؟

– سوف أنتظرك بفارغ الصبر، أكد لها هذا.

– بالمناسبة– قالت هذا وهي في منتصف الطريق المؤدي إلى

غرفتها– هل قلت لك بأن الدكتور "ري بورن" قد قام بامتداحك البارحة؟

– هل هذا صحيح؟ وماذا قال لكما؟

– إنك أحسن مستثمر جاء لجدي منذ زمن بعيد.

– جميل جداً، علق على هذا بضحكة تغطي علامات غريبة غير معروفة.

في هذه الأثناء اعتقد "الچيولوچي" بانه خمن الشيء الذي كان يزعجها وقبل أن تجد المناسبة لرفض دعوته. قال:

– إنك لم تقولي لي ما حصل لك في البنك.

– في البنك؟ قالت هذا وهي دهشة.

– ماذا قال لك (چيسي چيمس) عندما أخذت له قيمة الدين الذي عليك قبل أسبوعين من موعده؟

– آه... أخيراً استطاع أن يصحو من هذه المفاجاة. فقد تكرم بأن يعطينا مهلة في الدفعات التالية لحين أن تبدأ بئرنا هذه في العطاء.

ومثل أغلبية المزارعين فإن الصعود والهبوط للدولار هذا يساعد. لأن "چولييت" وجدها كانت الديون متراكمة عليهما كثيراً. وكان يجب عليهما أن يتداينا لكي يشتريا السماد والبذور لكي يقوما بزراعة هذه الأرض التي تخص العائلة منذ أجيال. إنها لن تنسى أبداً هذا اليوم الذي جاء فيه موظف البنك هذا لكي يعلن لهما عن إيقاف القرض الذي أخذاه، ومهما كانت هذه الصدمة من القوة فقد استطاع "بات" أن يتحملها مع ابنته الصغيرة، ولكن بالنسبة لـ"لاري" فقد آلمته كثيراً. ولكيلا يسمح للبنك بإعلان إفلاسهما فقد عرض للبيع مائة هكتار مع محصولها الكامل. وكل بيعة من هذه الأرض كانت تحسن وضعها قليلاً ولكن هذا العائد قد يساعد على التخلص من ديونهما مما أعطاهما الحق في السماح

لهما بأخذ قرض آخر من البنك الذي يساعدهما على الزراعة مرة أخرى.

لقد كان يرجو من الله ألاّ تكون أسوأ الأمور تقف خلفهما. ولكن ليس باليد حيلة. فإن الدولار أخذ في الارتفاع، الشكل الذي سوف يوقف البضائع عن التصدير وعندئذ، فإن البضائع سوف تملأ المخازن، وأسعارها سوف تتناقص بشكل سريع. وفي الوقت نفسه فإن سعر الفائدة للقرض الذي أخذاه سوف يصل إلى اثنين وعشرين في المائة.

إنه من المستحيل شرح هذا لـ"شندلر" و "چولييت" كانت من النوع الذي لا تستطيع أن تبقي ذكرياتها لنفسها فقط. وبعدها جاء اليوم الذي بدأ فيه جدها بكتابة هذا إلى جميع المسؤولين من مدير البنك إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية والتي كانت تعمل له فيها كمساعدة. أما بالنسبة لـ"لاري" فكان في أسوأ أحواله الشخصية والنفسية.

اليوم وبعد مرور ثلاث سنوات على مقتل زوجها بطلقة مسدس في الخيمة، تستطيع "چولييت" أن تشكر "شندلر" الآن لأنه قد أعاد لها شيئا من الأمل للمستقبل. ولهذا السبب فقط فإنه من الواجب عليها مرافقته هذا المساء.

– انتبهت لنفسها وقالت:

– إنني أظن أنه قد حان الوقت لكي أغير ملابسي. «ونسيان الماضي»... أضافت هذا لنفسها.

– سوف أنتظرك، أخذ بهذا يخفف عن نفسه مبرهنا بأن قليلاً من الفرح قد أضاء وجهها من جديد.

كان "الچيولوچي" يكره جداً هذه العزلة التي فرضتها على نفسها. كان يشعر كأنه مكتوف اليدين أمام حزنها هذا، والآلام التي واجهتها التي كانت تؤثر كثيراً في نفسه. لم تدغدغ أية

سيدة قبل هذه إحساسه. دخل مدخل المنزل ليقف في أسفل الدرج وينادي:

– "چولييت".

التفتت السيدة الشابة بسرعة، الأمر الذي جعل شعرها المعقود كذيل الحصان يلمس كتفيها.

– نعم.

قابلها "شندلر" بضحكة وكأنها قطرة من الشراب البارد في الصيف الحار والذي لم يكن يريد إلا أن تشربه.

– اتركي شعرك مفروداً حراً هذا المساء.

الفصل الخامس

عشرون دقيقة لكي تأخذ حماماً وتنشف شعرها، وتضع الماكياج على وجهها وترتدي ملابسها، فهذا السباق مقابل عدد الدقائق هذه فإنه لا يسمح لها بتاتاً بأن تفكر ولو قليلاً في تغيير رأيها بالنسبة لهذه السهرة.

ولكن، وهي تنزل سلم الدرج بدأت الأفكار تتصارع لدى "چولييت" لأسباب عدة لكي تخطو خطوة إلى الوراء. وماذا لو لم يعجب "شندلر" بهذا الفستان؟

وهل ياترى قد وضعت الكثير من الماكياج على وجهها، أم هل ياترى وضعت الكثير من الكريم المرطب على يديها؟ وهذا هو الذي لم تستعمله منذ زمن طويل...

وصولاً إلى الدرجة الأخيرة من السلم مسحت شفتيها بطرف لسانها بطريقة عصبية لكي تخفي تصارع أفكارها، ثم أخذت نفساً عميقاً. ثم وصلت إلى باب المدخل الذي يؤدي إلى الشرفة الكبيرة، وهنا أخذت تبحث عن "شندلر" بعينيها. لم يكن موجوداً.

أخذت "چولييت" تخمن. هل ياترى غير رأيه وذهب بمفرده إلى الحفلة الراقصة. وها قلبها بدأ بالخفقان، والتفتت قليلاً إلى الوراء، سارت من أمام المطبخ، رأت النور مضيئاً وضحكتان متميزتان شدّتها نحوهما: الضحكة الناعمة وفيها حرارة "للچيولوچي" والأخرى أكثر حدة كانت لجدها. كان الشخصان جالسين حول الطاولة مما يجعلها تتأكد من أنهما يلعبان الورق.

وبدون أية ضجة دخلت "چولييت" الغرفة، فاتجه إليها نظر الجالسين بشكل تلقائي: فستانها الناعم الشفاف من اللون الأزرق الرمادي قد بث في نفسيهما جواً من الفرح والذكريات. وهذا

الفستان من قماش الدانتيل المفتوح عند الرقبة قد أظهر قيمة جمال هذا الصدر وأيضا هذه الفتحة من الفستان والتي تنقوس نحو الأسفل من ظهرها وزنار باللون الأزرق نفسه يلتف حول خصرها النحيل بينما كانت التنورة تتسع قليلاً حول ساقيها الطويلتين والنحيلتين.

وبطلب من "شندلر" فقد تركت لشعرها العنان لينسدل كالشلال على كتفيها، ولقد تركت صندلها الأبيض في قدميها.

- يابنيتي الصغيرة! قال "بات" متعجباً. إنك تشبهين الربيع الجميل الذي يملأ الحقول بجماله.

- إنني لن أستطيع أن أقول أحسن من هذا القول، قال "الچيولوچي" ناظراً إليها بتمعن.

لم يكن هذا إلا عندما امتلأت رئتاها بالهواء، وقاربت على الانفجار حينها أحست "چولييت" بأنها قد نسيت أن تتنفس. فتنفست الصعداء وأعلنت لـ"شندلر":

- أنا مستعدة.

- ألم أكن قد رأيت هذا الفستان في مكان ما؟ سأل "بات" وهو يحبس أنفاسه؟

- نعم. إنه يخص جدتي وقد وجدته في الصندوق الموجود في السقيفة عندما ذهبت للبحث عن الكارت.

أحست هذه السيدة الشابة مباشرة بنفسها ضعيفة في هذا الموقف، فأخذت الفستان الذي كان موضوعاً في ورقة من الحرير الأزرق، الذي لم يكن بحاجة إلا لقليل من الإصلاحات لتعطيه القليل من التجديد.

- لقد تذكرت، الآن، قال هذا بحزن. "روث" ارتدته في اليوم الذي طلبت فيه يدها للزواج.

- إذا كنت تفضل ألا أرتديه- اقترحت "چولييت" متضايقة-

فإنني سوف أرتدي فستاناً غيره.

– أبقيه عليك، بالعكس ياعزيزتي، أكد لها هذا بصوت حاد، وأرجو أن ترتدي كل ما ترغبين من ملابسها الخاصة. سوف أكون سعيدا جداً بهذا....

– شكراً ياجدي العزيز، قالت "چولييت" هذا وهي تضع قبلة على وجنته المتجعدة.

– يجب عليكما الذهاب الآن، أنتما الاثنان. وأرجو أن تمضيا وقتاً سعيداً.

– أنا أعتذر لأنني قد أيقظتك الآن، اعتذر "شندلر" وهو يقف مستعداً للخروج،

– لا أهمية لهذا أبداً. أمامي العمر الأبدي كله للنوم.

– «سكيني» سوف يأتي في دقائق معدودة، شرح له هذا وهو يضغط على يده مودعاً.

– سوف أنتظره في التيراس.

وبعد أن وعد "بات" بألا يعطي الكثير من المال للعمال الذين سوف يرافقونه أثناء غيابهما فقد توجه "شندلر" و "چولييت" نحو سيارته، فقد كانت من ماركة "الثندر بيرد" القديمة المكشوفة من الخمسينيات والتي قد جددها وأعاد طلاءها إلى الأحمر الفاقع.

– هل ترغبين في أن أغلق الغطاء؟ سألها فاتحاً لها الباب.

– كلا، بل العكس. إنني لم أركب سيارة مكشوفة أبداً.

– إذا كان الهواء شديداً عليك فإنه يوجد إيشارب في علبة السيارة. شرح لها هذا وهو جالس وراء المقود.

أبقت "چولييت" ناظريها نحو النجوم الساطعة مفكرة في أنه من المستحيل أن تشعر بالغيرة من النساء الأخريات اللاتي كن قد جلسن في هذه السيارة قبلها. ومن موعد واحد فقط وها هي تريد

الاحتفاظ به لها وحدها فقط....

– إنني أحب الهواء.

وضع "شندلر" المفتاح وعوضاً عن أن يشغل السيارة التفت نحوها وقال.

– تعالي من هنا.

متفاجئة فالسيدة لم تجرؤ حتى على النظر أمامها.

– عفواً.

بهدوء، فقد مد يده حول كتفيها ثم التقط خصلة من شعرها وبدأ يلفها حول أصابعه.

– في سيارتي لا أحد يرتكز على الباب.

– ماذا.... ماذا تريد؟

– أن تجلسي براحة تامة هنا،

– ولكن....

– هكذا... انظري.

– إن هذا ليس بالأمر الجيد، اقترحت عليه وهي تشعر بأن جنبها قد التصق به.

– هذا أحسن بكثير، مصححاً وضعه، وهو مسرور.

أرجع ذراعه لكي يبدأ تشغيل السيارة وقيادتها، وبعدها وضعها مرة أخرى بثقة وراء "چولييت" التي بدورها أرجعتها إلى المقود لكي يستطيع أن يقود السيارة. وبكل ثقة وارتياح قاد المقود بيد واحدة آخذاً بالطريق العريض. كان الهواء يداعب شعرهما ويرد على كل حديث مستحيل. ولكن كان كل واحد لا ينبس بأي كلمة بوجود الآخر إذ لم تعد للكلمة أهمية بالغة.

أبقى "الچيولوچي" بناظريه على الطريق ولكن بيده الحرة وهي تداعب هذا العنق الجميل لرفيقة السفر الجالسة إلى جانبه، كانت وكأنها تحمل عنه تعب العالم كله لتزيله عن جسده وتريحه منه.

كان وكأنه يريد أن يثبت لنفسه بأن هذه البشرة الجميلة الطاهرة هي أكثر رقة وجمالاً ونعومة وعذوبة مما كان متخيلاً...

أبقت "چولييت" يديها موضوعتين بأدب بالغ على ركبتيها، بينما كانت أفكارها شاردة تماماً، في كل منعطف من الطريق كانت تحس وكأنها تندفع نحو السائق بكل قواها وهي تتصور الواقعة التامة للذي سوف يعمله فيها هذا الجسد المليء بالعضلات الملتصق بجسدها. وفي كل مرة كان فيها الهواء يأتي بشعرها ليلتصق على وجهها، كانت تفكر في هذا الشعر الغزير الناعم ذي اللون البني والذي لا حظته على صدر "شندلر".

أحست بطعم الحياة اللذيذ والسعادة البالغة التي غمرتها في هذه اللحظة. والقمر الربيعي الذي يبعث بأشعته الفضية على شجر الحور الطويل، وهذه الطبيعة البكر التي تحيط بـ"شندلر" و"چولييت" مجتمعين كليهما لكي يحققا حلم أجدادهما. ومرة واحدة يصل فيها هذا "الچيولوچي" إلى هدفه، سوف يرتب أغراضه ويرحل. إنها تعرف هذا جيداً وتسأل نفسها أي خريف هذا الذي سوف تمضيه من جديد وحيدة في هذا الحقل الكبير؟

– نحن لسنا بالبعيدين، تطلع "شندلر". إنني أسمع صوت الموسيقى.

بذلت قصارى جهدها لتتجاهل تماماً الاحتكاك الذي حصل بين أقدامهما. تطلعت "چولييت" أمامها وقالت:

– نعم. إنه بالجهة الأخرى من الطريق. التفت شمالك وتتبع الطريق إلى أن تجد ساحة كبيرة مضيئة.

في الوقت الذي كانت فيه المعارك والخط الحديدي هي السائدة، ظل هذا التقاطع من الطريق الوسيلة الوحيدة نحو العالم الخارجي. كان رجال "الكاوبوي" يصلون إلى هنا من كل الأماكن لكي يبيعوا مواشيهم والتي كانت تصدر إلى جميع الأنحاء بواسطة هذا

القطار. اليوم تبدو لك هذه الساحة فارغة وبدون أية أهمية ومستسلمة لأية إصلاحات. إن حافلات النقل الكبيرة التي تنقل المواشي تستعمل الآن الطرقات المصنوعة من البيتون المسلح عوضاً عن هذه المصنوعة من الأحجار، وكذلك السائحين أيضاً نسوا بتاتاً المتاحف التي تروي عن العصور الذهبية لتاريخنا وبدأوا بارتياد مدينة الألعاب «ديزني لاند» أو سواحل "فلوريدا" و"كاليفورنيا".

وفي كل يوم من أيام السبت مساء وعندما يسنح لهم الوقت. فإن الجميع يتواجدون في هذا التقاطع المشهور واضعين سياراتهم الكبيرة هنا عند المكان الذي كان أجدادهم يصفون فيه عرباتهم التي كانت تشدها البغال. كما أن نيران اللهب التي كانت تأتي من المجمعات السكنية قد حلت محلها «اللامباديرات»، كما حل محل آلة "الكمنجة" الموسيقية، "الراديو" المحمول. ولكن سكان هذا المكان مايزالون يرقصون في العراء تحت ضوء النجوم الخافت.

ليس سهلا أن يجد "شندلر" مكانا لإيقاف سيارته فيه.

عندما رفع يده لكي يسحب مفتاح "الكونتاك"، أحست السيدة الشابة وكان موجة من الاعتذار انتابتها، ولكنها تركت هذه الأفكار تتداعى في خاطرها ورجعت إلى الوراء إلى آخر المقعد.

– هذا المكان كان خالياً...

– ماذا تطلبين أكثر من هذا؟ قالها مستهتراً.

ترك أنوار السيارة مضاءة وأخذ في البحث عن الإذاعة الريفية التي يسمعها الجميع.

– ضربة فرشاة. فإن شعري لم يعد له شكل معين، أعلنت هذا وهي تمشط شعرها بأطراف أصابعها.

– في علبة الكفوف، أكد لها هذا.

– شكراً ولكن....

لم تكن "چولييت" ترغب في استعمال فرشاة خاصة لفتاة أخرى.

– لا تتضايقي من شيء فإنها تخصك.

أمعنت أو حدقت إلى هيئته المظلمة التي كانت تكاد تتضح أمام الإضاءة الخارجية.

– إنها فرشاتي الخاصة بي؟

– عندما كنت أساعد "بات" في غرفة الحمام، شاهدتها على رف المغسلة.

غاص "شندلر" في مقعده ونظر إليها بنظراته الملعونة التي خفق لها قلبها دائماً.

– كنت أعلم جيداً بأنك سوف ترفضين وضع الإيشارب، وعندما كنت تغيرين ملابسك وضعت هذه الفرشاة في علبة الكفوف.

– إنني أرى...، ضحكت له مادة يدها لكي تفتح العلبة.

ولكنها أثبتت أنها تتضايق من العبث بأغراض لا تخصها.

– هذه هي، صرخ "شندلر" وهو يخرجها. اتركيني أعمل هذا بنفسي.

كانت "چولييت" تريد أن ترفض ولكن لم تجد مفراً من هذا الوضع فأدارت له ظهرها وبدأ صدرها في الخفقان على نغمات ضربات "الجيتار" التي كانت تتصاعد من المذياع معبئة هدوء الليل بهذا الضجيج الصاخب.

وضربة طويلة من الفرشاة و "چولييت" لم تعد تقدر على تمالك نفسها؛ "شندلر" أحس بها وخاصة عندما بدأ مرة أخرى بتمشيط شعرها من الأعلى وحتى نهايته عند كتفيها ثم يخلصه لها بدون أن يزعجها.

لم تكن تعتقد أبداً أن حركة مثل هذه الحركة بسهولتها

وطبيعتها تحرك في نفسها مشاعر كهذه، و "شندلر" لم يكن يلمسها أبداً ولكن كل حركة من حركاته كانت تنبه فيها مشاعر عدة من رأسها وحتى أخمصي قدميها.

– إنك تتمتعين بشعر جميل جداً. قالها ويده تنساب على كتفيها مثل زبد البحر الذي ينساب فوق المياه.

كلمة من الشكر تعثرت في حلق "چولييت". وأخيراً وضع الفرشاة فوق "تابلوه" السيارة وأمسك بالسيدة الشابة من ذراعيها وقال لها:

– التفتي إليَّ.

مقابل رغبتها في هذا، نفذت رغبته بالتفاتها إليه، بينما كانت الموسيقى تعزف إيقاعاً متناغماً مع ضربات قلبها وأحست بيده مندفعة نحو فمها لتلتقطه.

– كلا "شندلر"... انفضت عنه وهي راغبة بالكل معاً: الابتعاد عنه والاقتراب منه.

– نعم "چولييت".

قبلها من الخد الأول ثم الثاني وهو يرى شفتيها ترتعشان من الخوف.

– كنت أحلم بهذه اللحظة منذ اليوم الذي جئت فيه إلى أرض الحفر. أصاب الخوف "چولييت" التي كانت متعلقة به فرجعت إلى الوراء في المقعد الذي كانت جالسة فيه محاولة وقف أصابعه العابثة كثيرا.

– كلا، أرجو ألا تفعل هذا.

– لا أعمل ماذا؟ سألها بهدوء.

تخلصت من يدي "شندلر" ورجعت إلى آخر المقعد.

– أرجو ألا يكون هذا هو السبب لخروجك معي.

– ولكن لماذا لا تعطين نفسك بعض الذكريات؟ سألها

وهو يشدها نحوه.

– لقد سئمت من كثرة ذكرياتي، همهمت بهذا.

هذه الجملة هزت مشاعر "شندلر" وكأنها ناقوس خطر فسحب يده فوراً وهو يراها تهرب بحنان نحو باب السيارة. لقد فهم الآن. إن هذا التافه والذي كانت متزوجة به مازال يلخبط أفكارها.

وبصعوبة بالغة كبح جماح غضبه وخرج من السيارة متجهاً نحوها لكي يفتح لها الباب بطريقة مؤدبة.

– انزلي من السيارة.

كان يجب على "چولييت" الكثير من رباطة الجاش لكي تتفادى نظرته، ولكنها أمعنت النظر إليه بوقاحة وقالت:

– إنك تتمتع بالحق الكامل في الرغبة في.

– طبعاً فإن عندي الرغبة الشديدة نحوك. ألقى بهذه الجملة ضارباً بقوة باب السيارة الأمر الذي دعاها إلى القفز.

– بعد إذنك، فإنني أستطيع أن أجد شخصا آخر لكي يعود بي إلى المنزل.

– إنني قد جئت بك إلى هنا وسوف أعيدك إلى منزلك.

– أرجوك ثق بي فإنني لا أريد أن أجرح شعورك.

– هذا الشيء ليس بإرادتي.

قالها وهو يرخي ناظريه نحو اليد اليسرى لـ"چولييت". ورغبته جامحة في نزع هذا الخاتم الذهبي لكي يحررها منه ومن ماضيها المؤلم.

– ولكن بكل صراحة فإنك ترغبينني. مكملاً حديثه.

وتحت تاثير الصدمة رفعت "چولييت" رأسها وأبقت صوتها منخفضاً حتى لا تزعج الذين يرقصون وقالت:

– هذا ليس صحيحا!

– هذا ليس صحيحاً، أعاد "شندلر" هذا ومقربا وجهه نحوها.

إذن لماذا جعلت نفسك جميلة إلى هذا الحد، في هذا المساء؟ ولأي سبب أبقيت نفسك جالسة بالقرب مني....

– إنه أنت الذي أصررت علي لكي أبقى قريبة منك.

– وأنت التزمت بالرفض!؟

رنت كلماته هذه رنين الصدق في نفسها حتى أصبحت خجولاً ومع هذا فإنها استمرت في الكذب على نفسها أيضاً.

– أنت بالفعل مجنون!

– أنا مجنون، هذا صحيح. مجنون لأنني رغبت في التقرب من امرأة متزوجة من شبح وهمي.

أحست "چولييت" وكأن صفعة في صميم قلبها أصابتها ولكن وقبل أن تستطيع الإجابة عليه، التفت "شندلر" وتوجه بخطى ثابتة نحو المرقص. لم تتبع "چولييت" في هذه الأثناء سوى إحساسها فركضت نحوه وأمسكت بذراعه قائلة:

– أين تذهب؟

لم يقف "الچيولوچي" في هذه الأثناء إلا ليتخلص من اليد الممسكة به.

– بما أنني لم أستطع أن أرطب جوفي من هنا فسوف أذهب لأرطبه بكأس من الشراب البارد.

كانت (لوريتا ويست) ترتدي ثوباً من اللون الأبيض المصفر والذي كان متمشياً بشكل مدهش مع لون بشرتها الشقراء. جالسة على كرسي محمول على طرف ساحة الرقص وعندما رأت "چولييت" وكزتها بكوعها.

– إذن يا حبيبتي "فالچيولوچي" الذي معك قد طار من يدك.

– إنني أكرر لك بأنه ليس هو هذا "الچيولوچي" الخاص بي، قالت "چولييت" هذا وهي متضايقة عندما رأت "شندلر" يرقص بين ذراعي إحدى الفتيات الصغيرات السمراوات مرتدية بنطالاً من

الچينز الأحمر وحذاءً عاليا.

– لو أنك رأيت النظرات التي كان يلقيها على "سيمپ كريد" عندما كنتما ترقصان رقصة الفالس معاً، فإنك سوف تدركين تماماً لماذا لقبته بالچيولوچي الخاص بك.

– هذا هراء! صرخت السيدة الشابة قائلة: "سيمپ" وأنا صديقان منذ زمن بعيد فقط، لا أكثر ولاأقل من هذا.

– إنني أعرف هذا جيداً. أجابتها الشقراء. ولكن لو أن ناظريه يستطيعان أن يقتلا هذا المسكين "سيمپ" لكان مدهما في هذا الجو المغبر حين وصوله إلى هنا. رجعت "چولييت" بناظريها نحو المرقص باحثة عن "شندلر" ورفيقته بكثير من الانتباه. وكان الاثنان يتبادلان أطراف الحديث بينما بدت الفتاة الصغيرة وكان كتفيه العريضتين قد غطتاها نهائياً.

وكان يرقص بعفوية تامة وكأنه يمشي بسهولة تامة لا تجدها عند شخص في مثل قامته. وبما أنه كان مضطرباً لا يعرف ماذا يفعل فقد قبل هذه الفتاة، فأحست وقتها السيدة الشابة بقلبها يخفق بين أضلاعها. فانتابتها نوبة من العصبية وأخذت تبرم خاتم الزواج الذهبي الموضوع في أصبعها ورجعت بذاكرتها إلى الوراء لكي تتذكر زوجها الراحل "لاري"، ولكنها وللأسف الشديد لم تتذكر سوى الشفتين الحساستين لـ"شندلر" فاعترفت أخيراً بأنها لا تستطيع أبداً التخلص منه.

انحنت "لوريتا" نحوها وهمست في أذنها:

– إن الطريقة العصبية التي تحركين بها هذا الخاتم ومهما يكن المعني بهذا فإنه سوف يعتقد بأنك تجرينه كالحمل الثقيل.

– إنني أظن أنه يجب علي أن أخلعه، اعترفت "چولييت" بهذا، وتذكرت أن هذا الخاتم أصبح ثقيلاً على أصبعها منذ أسبوعين فقط، هذا الذي صاحبهاطوال سبع سنوات وأنها سوف

تشعر وكأنها عارية تماماً من الملابس التي عليها حين تخلعه من يدها.

– إيه وماذا بعد؟ يا صديقتي. هل من خطأ في هذا؟

– اسمعي، عرفتها "چولييت" هذا وهي تأخذ بيدها قائلة: لم أقل لك شيئاً، اتفقنا؟

اتكأت "لوريتا" على ظهر الكرسي وأمعنت النظر إلى "چولييت" بعينيها الكبيرتين الزرقاوين وقالت :

– لقد قررت أخيراً إطلاق العنان لشعرك لكي يتطاير مع الهواء.

– لهذا المساء فقط.

– إنها خطوة جيدة أخرى على الطريق الصحيح...

وبدون أن تنتبه إلى المغزى الذي وصل إليه هذا الحديث أدارت "چولييت" باظريها من جديد نحو الراقصين لكي تتأكد من أنها قد أضاعت "شندلر" عن ناظريها.

– هل قلت لك بأن جدي يتبع علاجاً جديداً؟

– ها هو.

– من؟

– باحثك «الذي يبحث عن الذهب الأسود».

أحست "چولييت" بوخزة من الغيرة عندما اكتشفت "شندلر" يضحك من الأعماق مع هذه الصغيرة السمراء..

– لقد قلت لك هذا....

– بأنه ليس الرجل الذي تريدينه أنت، أعرف هذا، قطعت عليها "لوريتا" بهذا مازحة. توقفت الموسيقى عن العزف وأخذ الراقصون يتفرقون هنا وهناك، بينما كانت مكبرات الصوت تبث إعلاناً ليس له أية أهمية. تباعد حينها "شندلر" عن رفيقته واتجه نحو البار الذي كان فيه فتاة تغمز له بطرف عينها مرتدية فستاناً ليس إلا. تذكرت "چولييت" وقتها الكلمات الجارحة التي ألقاها

"شندلر" في وجهها. ومع أنها كانت قاسية جداً ويصعب على المرء الاعتراف بها ولكن عنده كامل الحق في كل كلمة قالها لها. ولكن كيف تستطيع أن تنسى أنها كانت يوماً من الأيام أرملة لهذا الشبح الوهمي بدون أن تثبت هذا؟

صوت مكبر الصوت أتى ليعلن عن الرقصة الأخيرة والتي كانت هي المفضلة لدى "چولييت".

– الآن، إنه دور السيدات للدعوة إلى الرقص، ذكرتها "لوريتا".

– لو كان يريد الرقص معي لكان طلب مني ذلك، قالتها "چولييت" وهي تنظر إليها بحرارة بالغة. رفيقها لم يكن متزوجاً ولكن بالنسبة لمعرفتها بالرجال من المستحسن ألا يفشي هذا السر.

– من الممكن أن يكون منتظراً منك أن تغيري رأيك؟؟حدقت "چولييت" إليها وكأنها قد بلعت الكثير من الحرارة التي حول "اللمبديرات".

– هل رأيتنا ونحن في داخل السيارة؟

– وأيضاً بعدها.

الموسيقى أخذت في العزف من جديد، جاذبة الراقصين والراقصات وكأنها نداء سحري و "چولييت" اعترفت بأنها تقف الآن على حافة الهاوية، ويجب عليها أن ترد الصفعة التي أخذتها من "شندلر" وهي ساكنة.

– شكراً يا صديقتي "لوريتا"، أعلنتها "چولييت" وهي واقفة.

– اذهبي وابحثي عن فريستك، مشجعة لها بطرف عينها المعبرة.

تاهت "چولييت" في وسط هذه الفوضى البشرية، غير مبالية بالضربات الآتية من الأكواع أو من الأرجل باحثة بين العشاق الذين يتبادلون القبلات الحارة عن "شندلر". ومن بعيد رآها "شندلر" تقترب نحوه فهرع لملاقاتها في وسط ساحة الرقص.

– لقد ظننت أنك لن تأتي أبداً، قالها وجعلها ترتجف إثر تأثرها من ذراعيه اللتين لفهما حول عنقها.

– لا تلعب معي هذه اللعبة من فضلك.

– لا تصدقي هذا. إنني أكثر سهولة للأخذ بي من كل هؤلاء الرجال الذين ترينهم، قال هذا وهو يضمها نحوه.

رقصت "چولييت" مغمضة العينين وخدها إلى جانب خد رفيقها مختفية بين ذراعيه القويتين والكبيرتين وأحست بدفء جسده نحوها وبيديه الموضوعتين على ظهرها وكأنهما تحميانها من متاعب هذا العالم كله. وها هي تحاذر مما تعنيه ضربات قلبها المتسارعة هذه، ها هي قد غابت في دوامة رائحة عطره الذكي والتي هامت برأسها معلنة أنها هنا يجب أن تكون.

أخذت خطواتهما في التقارب من بعضهما البعض من آن لآخر حتى وكان أنفاسهما أصبحت واحدة. عقدت "چولييت" أصابعها على عنق "شندلر" وكأنها لا تريده أن يهرب منها.

السيدة الشابة همست باسم هذا الچيولوچي عندما ألهبت شفتاه صدغها وبقبلة طويلة لم تنته أبداً اعترفا بواقعية هذا الإحساس المتبادل الواحد للآخر والموجود عندهما.

وعندما وقفت الموسيقى عن العزف كانا ومايزالان يتبادلان هذه القبل الحارة، بدا الجو وكأنه في وسط الليل، وبدأ الوداع، وأخذت الموتورات بالدوران متخذة طريق العودة، وأخذت مصابيح السيارات تبهر الأبصار بضوئها، وأصبحت الإضاءة كلها حمراء من الإضاءة الخلفية للعربات التي غابت هي أيضاً في هذا الظلام الدامس لهذه الليلة التي بدت لهما أنعم من أنفاس العشاق.

هما الاثنان وقفا منتصبين في وسط هذه الساحة الصحراوية شاخصي العيون. جاء "چولييت" إحساس مسبق عما سوف يطلبه منها "شندلر" مع أنه قد أحس بأنها لم تكن بعد مستعدة

لهذا.

كان الهواء يعصف ويصفر في العشب الطويل للحقول المجاورة عندما وضع "شندلر" يده حول الخصر الجميل النحيل لـ"چولييت" مساعداً لها على الدخول في سيارته.

*****

– لندخل الآن.

– آه كلا! عبرت السيدة الشابة عن هذا وقلبها يعتصر من الحزن وهي ترى سيارة الدكتور "ريبورن" واقفة أمام المزرعة.

– لقد حصل شيء مكروه لجدي في أثناء غيابنا عنه.

تخلصت من ذراع "شندلر" وانسابت نحو البوابة الكبيرة للمزرعة وفتحتها حتى قبل أن تقف السيارة. وهي تحس بوخز الضمير. اتجهت نحو التراس الذي قابلها فيه الچيولوچي، وأمسكها من ذراعها.

– اتركني وشأني صرخت فيه بصوت قريب من الهستيريا.

– "چولييت"، إنني أريد مساعدتك....

– ألم تكن قد عملت ما فيه الكفاية؟

لم يعد يسنح لهما الوقت لكي يطلب منها ما كانت تريد أن تقوله له؛ لأنها تخلصت منه بسرعة وقفزت سلالم الدرج الخشبية لتصل إلى الباب وترى الدكتور بنفسه قد فتح لها باب الغرفة.

– ما حال جدي؟ سألته لا هثة.

– سوف يكون أحسن الآن..

– أيها الرب شكراً لك، نطقت بهذا وقدماها مازالتا ترتجفان من وقع الصدمة وبكل ثقة التفتت نحو "شندلر" وشكرته على تهدئتها.

– ماذا جرى؟

– لحد علمي، أخذ الطبيب يسرد القصة: إن "بات" قد انتابته نوبة من السعال الشديد حتى إنه لم يعد يستطيع أن يسترد أنفاسه. فقام عاملك الشاب بإخباري بهذا. ولقد وصلت إلى هنا باقصى سرعة وأعطيته حقنة في العضل لكي يهدأ ويخلد إلى النوم.

– وأين "سكيني"؟ ساله "شندلر".

– لقد أرجعته إلى مكانه.

– كيف عثر على مكان وجودك؟ سألته "چولييت".

– لقد تركت رقم هاتف الدكتور إلى جانب هاتفكم، أجابها "شندلر"، خجلت "چولييت" وقتها من نفسها؛ لأنها لم تفكر هي نفسها أن تضع رقم هاتف الطبيب لـ"سكيني" فلذلك طاطات رأسها خجلاً من نفسها على تقصيرها هذا وتنفست الصعداء وقالت:

– شكراً.

– ماذا تقولين عن احتساء فنجان من القهوة الآن؟ اقترح "الچيولوچي" بهذا.

– فكرة جيدة، أثنى عليها الدكتور "ريبورن".

ذهبت "چولييت" إلى المطبخ لإعداد القهوة بينما أخذ "شندلر" يقطع ثلاث قطع من "الجاتوه" الذي صنعته هذا الصباح، إنها يجب عليها أن تجابه بمفردها الحقيقة التي لا تريد الاعتراف بها وهي هذا الإحساس الجميل بوجود مثل هذا الرجل في المنزل الذي تستطيع الاعتماد عليه.

بعد هذه الجلسة الودية، قام الطبيب ليعطي تعليماته بالنسبة إلى الجد "بات" كانت إحداها لكي يستطيع الخلود إلى النوم هذه الليلة. أخذ "شندلر" هذه الورقة وأخفاها بطريقة لبقة عن عيني "چولييت" وقال:

– يجب علي أن أذهب إلى المدينة غدا لشراء بعض الأنابيب النحاسية. وأستطيع في طريقي أن أشتري هذه الأدوية.

– سوف أحرر لك "شيكاً" بكل هذه المصاريف، قالت "چولييت" وهي تعمل حسابها بأنها ترد له هذه القيمة مع الحساب الذي أعطاهما إياه الآن. ولكن لا يوجد مبرر له لكي يعمل معروفاً معها.

– آه بالنسبة لقيمة الأنابيب، قال الدكتور، فإن "بات" قد أعلمني بأنكم سوف تكونون مستعدين للحفر اعتباراً من الأسبوع القادم.

– إن شاء الله وإذا لم يتعد مستوى المياه الحدود المعقولة، أكد الچيولوچي هذا.

– ماذا سوف تعملان بكل هذه النقود التي سوف تأتيكما من البترول؟

سأل الدكتور "چولييت" بهذا.

– إنك تدفع أولاً لكي نبدأ.

– لقد قلت لك منذ الشهر الماضي بأنني سوف أرتب أموري مع التامين الاجتماعي.

– إن هذا ليس كافياً.

أضافت هي.

– هل تريد أيضاً فنجانا من القهوة؟ سأله "شندلر".

– كلا شكراً. إن اثنين– حتى الآن– كافيان بالنسبة إلي لهذه الليلة....

التفتت "چولييت" بناظريها نحو الساعة الكبيرة الموجودة في الصالون وفوجئت عندما رأتها تقترب من منتصف الليل.

– يا إلهي، لقد توقعت أن الوقت أصبح متأخراً.

– إن الوقت يمر بسرعة متناهية عندما نكون مسرورين، علق

"شندلر" بهذا.

– هل كان يوجد شيء مميز في حفلة الرقص هذه الليلة؟ سأل الدكتور مازحاً.

– ماذا تعني من كلمة شيء مميز؟

– آه... لا أعلم... مثلاً: تشاجر أو لقاء قد انتهى بقبلة حارة. افتراق أو لقاء. يعني الأشياء الاعتيادية...

– لا لم ألا حظ أي شيء، قالت "چولييت" وقلبها يخفق من الذكريات التي يخجل بها إحساسها المفرط.

وقتها دقت الساعة اثنتي عشرة دقة، والسيدة انسحبت من المجلس.

– أظن أن الوقت قد حان بالنسبة لي للذهاب إلى النوم.

– وبالنسبة لي أيضاً، وافق الطبيب على هذا وهو يقف وينفض الغبار عن نفسه. إنني سعيد جداً لأنني قد رأيتك تخرجين من جديد لتروحي عن نفسك قليلاً يا "چولييت".

– إن هذا سوف ينتهي سريعاً، إنني خائفة من هذا، أجابته بصراحة.

– وجودك أو عدمه فإن هذا لا يمنع من النوبة التي أتت للجد "بات" وإنك تعرفين هذا جيداً.

– أعرف هذا، ولكن...

– وأنا أيضاً لا أستطيع أن أمنعها، قالها بهدوء.

– إننا لا نعلم أبداً هذا، أضافت هي.

– إنني أظن بأن لا.

وهو يرى التعبيرات الطبيعية لوجه "چولييت"، حلف "شندلر" بانه حان الوقت ليعرف ماذا وراء هذا الوضع. وقف بدوره واستاذن لكي يغلق سقف السيارة.

– يجب عليَّ الذهاب لكي أغلق سقف سيارتي. وسوف

أصطحبك يا دكتور إلى الخارج.

– بعد الحقنة التي أعطيتها لجدك فإنه سوف يخلد إلى نوم عميق خلال هذه الليلة، أكد هذا لـ"چولييت" وهو يغادرها:

اتجهت السيدة الشابة بسرعة إلى المطبخ وغسلت الصحون ورتبتها ثم ذهبت واطمأنت على جدها "بات" الذي كان ينام في غرفة الطعام قبل أن تذهب للنوم. وفتحت عليه باب الغرفة لتدخل وتراه شاحب اللون قليلاً، ولكن تنفسه بدا منتظماً تماماً والحمد الله. وكلبه كان متمدداً إلى جانبه والذي كان يرفع أذنيه كلما رأى "چولييت" تقترب منه، هذا الكلب الذي أعطاه جدها اسم "تو فيه" لأنه قد عمل الكثير في اصطياد الأرانب منذ وصوله إلى المزرعة. عطفت عليه "چولييت" بيد حنون قبل ذهابها بسرعة إلى الطابق الأعلى، حيث اتجهت إلى الحمام بسرعة ودخلت غرفتها وهي غير راغبة بتاتاً في أن تتلاقى مع "شندلر" في وسط الممر المؤدي إلى غرفتها. لأنها لم تشعر بنفسها مستعدة أبدا للإجابة عن الأسئلة التي استطاعت قراءتها في عينيه قبل مغادرة الطبيب لهما.

هاربة من مرآة الحمام التي كانت تعكس لها صورتها والتي كانت لا تحبها أبداً، ركضت بسرعة فائقة متجهة نحو غرفة نومها، خلعت ثيابها في الظلام ثم تمددت فوق سريرها الكبير وحيدة ككل الليالي التي مرت بها منذ الأبد.

وبالرغم من أن النعاس لم يداعب عينيها بعد، فإنها أبقت نفسها فوق السرير. والهواء المنبعث عبر الناموسية التي تغطي سريرها ينبس باسم .... "شندلر" ... "شندلر" .... إن الذكريات لذراعيه القويتين وفمه المليء بالأحاسيس البالغة كل ذلك قد أيقظ في نفسها إحساسا لم تستطع أن توقفه أبداً.

أصوات رجالية كانت مسموعة عبر النافذة المفتوحة، وأبواب

تنغلق معلنة عن ذهاب الدكتور وأن سقف سيارة "شندلر" قد أغلق وعن أقفال تغلق أيضاً. ولكنها كانت تنتظر بفارغ الصبر سماع صوت باب المدخل وهو يغلق، وهذا الذي يرتدي الحذاء الثقيل يصعد إلى الطابق الأعلى عن طريق سلم الدرج المؤدي إلى غرفته. وأخيراً، رمت "چولييت" بنفسها خارج السرير ملقية بناظريها عبر النافذة لترى ماذا يبقي "شندلر" خارجاً إلى هذا الوقت. ولكيلا يراها وضعت نفسها موضع القرفصاء ورأته يدخن سيجارته ذهاباً وإياباً يفكر في شيء ما على طول الطريق. وشعره الغامق مضاء بنور القمر الساطع لينساب هذا الضوء على طول ظهره مظهراً عضلاته البارزة. وكما قميصه المرفوعان يعكسان بقوة– مع هذا الجلد الناعم الأسمر– يديه البارزتين واللتين منذ فترة قصيرة عرفتا تماماً كيف تجذبانها نحوه.

استمر هو يهمهم بكلمات غير مفهومة، ماشيا ذهاباً وإياباً، وقف فجأة ليرفع ناظريه عبر الفتحة السوداء لنافذتها. فارهبته روعة الفكرة التي بها استطاع أن يراها وهي تتجسس عليه، فتراجعت "چولييت" للتو إلى الوراء لكيلا يراها. ولكن– وبعد برهة من الزمن– سمعت من جديد خطوات قدميه تتخطى الدرج فرجعت إلى وضع المراقبة. عرفت "چولييت" تماماً الآن أنه قد تعلق بها أكثر منها، وأنه قد اعتقد أن هذه السيدة مازالت صغيرة. وبالنسبة إليه لم يكن هذا الوضع أكثر من منعطف نحو طريق الرغبة الجنسية. ولكن بالنسبة إليها فإن هذا الوضع هو وضع "دراماتيكي" لا أكثر ولا أقل.

ظلت "چولييت" بدون حراك حتى سمعته يدخل في المنزل وبعدها ركضت مسرعة نحو سريرها قبل أن تضع نفسها موضع المذنب. ممتدة في الظلام، وقلبها آخذ في الخفقان السريع، يصعد بهدوء متناهٍ سلم الدرج.

تنفست الصعداء الممزوج بالاعتذارات التي هربت من بين شفتيها عندما تعرفت صوت باب غرفته ينغلق وراءه. واعترفت لنفسها بأن هذه الليالي العصيبة التي تمر بها قد بدأت منذ وصول "شندلر" للعيش تحت هذا السقف الواحد.

الفصل السادس

كانت فتحات أبواب مخازن القمح كبيرة جداً مما جعل الهواء العاصف الذي هب يهز الألواح الخشبية الكبيرة التي كانت موجودة وراء الباب لكي تحكم إغلاقه؛ فتصبح هذه الأبواب تتصارع مع بعضها البعض على الجدران الخشبية فتحدث صوتاً مزعجاً في الليل.

لقد أوقفت "الكيمون" الصغير الذي كانت تقوده ونزلت منه وهي متضايقة تماماً وأخذت تبحث عن "لاري". ولكن أين هو مختبئ؟ فمنذ زمن طويل وهو مصاب بخيبة الأمل بسبب وضعهما المالي المتردي ولكن هذا لا يعطيه عذراً عن قلة الانتباه التي كان مصاباً بها. فتخلصت من صدار الخادم الذي كانت ترتديه لتخدم عملاء هذه المزرعة، واتجهت بخطوات ثابته ومسرعة نحو ساحة المزرعة سائلة نفسها هل يجب أن تكون مسؤولة عن كل شيء هنا في هذه المزرعة؟

أمامها كانت الأبواب تتخابط مع بعضها البعض في كل الاتجاهات بصوت مزعج جداً، وكان يجب عليها أن تتصارع مثل المجانين؛ لكي تستطيع أن تقبض على مصراع واحد من الأبواب في زمن قليل لكيلا يعود إلى الانفتاح ريثما تمسك بالمصراع الآخر من البوابة الكبيرة. فكانت تتلوى بشكل مخيف، ولكن صحة الجد لم تكن تساعده لكي يذهب ويضع الزيت على المفاصل الكبيرة للبوابة هذه. أما بالنسبة للسيد "لاري" كان وكأنه لم يسمع شيئاً من هذا الضجيج الفظيع. وكان يجب عليها أيضاً أن تنهي هذه العملية بنفسها.

كانت المصابيح مضاءة.

- "لاري"؟

لم تتلق رداً على ندائها هذا غير الصدى لصوتها. فتوجهت بكل حذر نحو هذه الغرفة المضيئة. إن عصف الريح وصرير مفصلات الأبواب، جعلاها تحس ببرودة تسري في أعضائها من هذا الجو المرعب جداً والمخيف.

فجاء إلى ذاكرتها الآن عندما جف حلقها من الخوف، وعندما دخلت المكان الخاص الصغير المعد لزوجها:

– إذا كانت هذه مزحة من نكاتك، يا "لاري"، فإنها لم تكن أبداً من.... إن الرسالة التي جاء بها موظف البنك موضوعة بشكل مهمل على الأريكة الكبيرة. اليدان ترتجفان، أمسكت بها، وحين قرأتها تمنت لو لم تكن في المنزل حين وصول ساعي البريد. ولكن بما أن إحدى خادمات المنزل كانت غائبة عن عملها بسبب مرضها، فإنها اضطرت إلى العمل مكانها لساعات إضافية عن عملها المعتاد.

برودة عامة سرت في جسدها عندما أخذت هذه الرسالة بين يديها واتجهت نحو الفانوس المضيء لكي تستطيع قراءتها. الأمر الذي أبقاها عالمة بكل محتوياتها، بينما كانت تهم بالرحيل من هذا المكان المرعب.

الأحذية كانت موحلة ومهترئة.

الأجسام متباعدة حتى آخر الزاوية.

"لاري"...

من جديد، أحس هو وكان صوتاً متقطعاً قد جاء إلى مسمعه. أطفأ "شندلر" سيجارته التي كانت في منتصفها، وسحب قدميه الطويلتين العاريتين من السرير. وارتدى بسرعة بنطاله الجينز القديم، وخرج من الغرفة مسرعاً.

لفترة طويلة، ظل واقفاً، وعيناه الكبيرتان تحدقان، راجعاً بذاكرته إلى الوراء متذكراً القصة التي رواها له الدكتور "ريبورن"

عندما جاءت صرخة أرجعته إلى وضعه الحالي.

تابعها هدوء كامل. وبعدها إزعاج آخر وقع على مسامعه.

كان الممر الطويل الذي يفصل بين الغرفتين سابحاً في الظلام الدامس. وبكل هدوء توجه نحو غرفة "چولييت" وفتح بابها. كان ضوء القمر الساطع يتسرب من خلال هذه الجلايل الرقيقة من الدانتيل على هذا السرير الكبير، والذي كان كبيراً مقارنة ببقية الأثاث الموجود في المنزل بأكمله، والذي كان قديماً جداً وكأنه خارج هذا الزمن. الشراشف القطنية المطرزة منذ القدم، كانت ملفوفة حول قدميها وكتفاها الهزيلتان تشعان بشكل لا يوصف تحت هذا الضوء الجميل للقمر المنير في هذه الليلة فائقة الجمال مما جعل الدماء تتصاعد في عروقة لهذا المنظر الجذاب جداً.

لم يتردد "شندلر" لحظة واحدة، حتى إنه لم يفكر في أن هذا العمل الذي سوف يقوم به سيرفع من شدة الحرارة الموجودة بينهما الآن. وفي خطوتين فقط من قدمه قفز إلى جانبها في "السرير وأخذ "چولييت" في أحضانه وضمها إليه بحرارة.

– "لاري"؟

بدا على الچيولوچي الضيق عندما تعلقت به غارسة أظافرها في كتفيه العريضتين. ولكن وبكل صرامة، فإن الإزعاج الذي سببه له هذا الاسم الذي نادته به، لم يفقده متعة الجلوس إلى جانبها وفي سريرها.

– آه، يا إلهي! هل كنت أحلم ياترى...

– اسكتي، يا حبيبتي....

– إنني هنا...

– إن مفصلات أبواب "الجراج" محتاجة للتزييت، تمتمت هي بهذه الكلمات. ارتسم سرور بالغ على وجه "شندلر" فقد وجد فيها الآن هذه "الچولييت" التي عرفها منذ أسبوعين تقريباً.

– سوف أضع الزيت عليها غداً صباحاً في الساعات الأولى، مؤكداً لها هذا.

– هذا هو بالذات الذي قلته البارحة...

أولاً فإن روب النوم الذي ترتديه كان عائداً إلى زمن طويل قد مضى، وثانياً، هذه الغرفة المزينة بملفات بيضاء اللون وستائر من الدانتيل بالإضافة إلى هذا السرير الكبير، وأخيراً السيدة الشابة والجميلة التي إلى جواره... فماذا يستطيع له أن يحلم بأكثر من هذا الوضع الرومانتيكي؟

أرخى "شندلر" ظهره على مسند السرير الخشبي. وقال لنفسه: إنه ليس هذا هو الوقت لكي يستسلم إلى النوم.

وقبل شروق الشمس بقليل، انتهى به المطاف إلى النوم. عيناه تغمضان وتنفرجان أحياناً، لأنه كان مستغرباً وجوده في سرير واحد مع امرأة بهذا الجمال الفائق والجذاب، وبدون أن يستطيع ملامستها والاقتراب منها أكثر من هذا.

أما بالنسبة إلى المرأة المعتادة على النوم بمفردها في سريرها وغرفتها، فإن الرائحة الخاصة بالرجل الذي كان إلى جانبها في السرير، كانت تحرك فيها مشاعر من الخوف. تنبهت "چولييت" لهذا الوضع بسرعة، في هذا الصباح، واستيقظت، لتجد رأسها على صدر "شندلر"..

ماذا حصل ياترى لكي تجد نفسها في هذا الوضع الشاذ؟إنها لا تتذكر شيئاً، إنه الفراغ التام... فالقت بناظريها على ساعة الحائط، وأدركت أنه قد حان الوقت لكي تستيقظ..

«إنه الوقت المعتاد» قالت لنفسها وهي تنظر إلى السرور البالغ الذي كان بادياً على وجه "شندلر" وهو يحلم، ممتدا بكل جسده في وسط سريرها.

رجعت برأسها إلى الوراء من فوق صدر "شندلر"، ونظرت إلى

هذه البشرة البرنزية وهذا الوجه الشامخ لهذا الرفيق الموجود إلى جانبها. هذه الشفاه التي تظهر مكنون نفسه من الإحساس البالغ والكبرياء الشامخ، وأنفه المرفوع وكأنه قد تلقى ضربة لكي يصبح بهذا الشكل الجميل وقد رفضت حتى التفكير في وضع رفيقها هذا، بعد أن تتشاجر معه. فتحت عينيها جيداً بالقفز من السرير وهي تحس بأن "شندلر" يراقبها بهدوء.

– صباح الخير، لفظ هذا بصوت حار ومتهدج قليلاً.

– ماذا تعمل هنا؟ متنفسة الصعداء.

– إنك لم تتذكري أبداً؟

– كلا.

– لقد كنت تحلمين بكابوس فظيع.

وفجأة، رجع كل شيء إلى ذاكرتها: الأحذية الطويلة المهترئة، الجسد، والـ... ارتجفت لهذه الذكريات وهمهمت:

– شكراً.

– لا شيء يستحق الشكر.

– إنك تستطيع الآن الذهاب من هنا.

– يجب عليَّ أن أرتدي ملابسي الآن.

– إنني لا أمنعك من هذا، قال ذلك بدون أن يتحرك بأية حركة، وكأنهما عروسان جديدان وسط السرير الكبير.

– "شندلر"...

– لقد ناديتني باسم "لاري" في نومك الثقيل.

أحست "چولييت" لتوها وكان الكلمات قد تعثرت في حلقها.

– إنه غلط طبيعي.

– بدون أدنى شك في هذا، ولكن أؤكد لك، أنه يوجد مكان صغير في نفسك مشغول بي أنا، وأنا فقط هو الذي كنت تريدينه الليلة.

أبعدت "چولييت" نفسها عنه لأن صورتها وهي معه قد أرجفت أجزاءها وفي الحقيقة، فقد أيقنت بأنه هو "شندلر" الذي هم لنجدتها وليس "لاري" وليس لأول وهلة كان له الحق في هذا. وقليلاً قليلاً تبينت أن هذا الرجل الذي أمسك بها وهدأ من روعتها هو ذاته الذي كانت تريد أن تتفاداه في كل الأحوال. وعوضاً عن أن ترفضه فقد ارتمت بين أحضانه وكأنها طفل.

شعور ناعم سرى في جسدها بالكامل، عندما لا مست ساقاها بنطاله الچينز. وأيضاً عندما لا مست بشرته وجنتيها. ومن الشعور تذكرت تماماً أحلامها لهذه الليلة وحتى الشروق، والذي نمّ عن إحساس بالغ حتى سألت نفسها عما إذا كان قد حصل هذا الشيء في الواقع أم لا.

– ماذا كان الكابوس؟ سألها "شندلر" معتقداً أن رواية هذا الكابوس له ستريح أعصابها.

جلست "چولييت" بسرعة، والخجل يغمرها، ووضعت رأسها بين يديها. وقالت:

– إنني لا أريد التكلم عنه.

من الذي كانت تريد أن تحميه ياترى؟ هي نفسها أم الشبح الذي وكان يوماً من الأيام زوجها؟ مادا يده نحوها، وشدها مجددا نحوه.

– إنك لا تستطيعين أن تبقي هذا في نفسك إلى الأبد، وإنك تعرفين هذا جيداً.

– أرجو ألا تلمسني! صرخت بهذا وهي واقفة.

اليدان حول الركبتين والعينان تشعان باشعة زرقاء، اعتبرت ذلك هو الدفاع الذي أعطاها القوة لتجابه به أحزانها.

– لقد دفعت بنفسك عندي، رغما عن أنفي، وحتى سريري أيضاً! ولكن أستحلفك بالا تبقى هنا أكثر من هذا.

تعثرت "چولييت" في الحديث، مرتبكة، لان "شندلر" كان يتفحص كل جسدها عبر قميص النوم الشفاف الذي كانت ترتديه. فتركت لذراعيها العنان، هاربة من العينين المتفحصتين اللتين كانتا تخترقان جسدها وهربت نحو "الكومودينا".

وبكل أنوثة بالغة رآها تسحب على طول رجليها، اللتين تشبهان البارودة الطويلة، بنطالاً من القطن الأبيض الضيق، وبعدها حبست نفسها بحمالة الصدر التي كانت من الدانتيل الأبيض، ووضعت عليها قميصا من القطن، ثم ارتدت بنطالاً من الچينز، وكأنها تلعب لعبة أطفال. ولكن بالنسبة له فقد اكتشف هذا الجسد الجميل الذي كان مختبئاً عن ناظريه. وأخيراً خلعت عنها قميص نومها هذا، وأعطت لشعرها حركة رشيقة لتنظمه.

اكتسب ذقنه لوناً غامقا لأنه لم يحلقه هذا الصباح، التقت نظرات "شندلر" بنظرات "چولييت" عبر المرآة. لقد كان مندهشاً لرؤيته الاحمرار الذي لطخ وجنتيها من خجلها بنفسها لأنها تركت لنفسها العنان بين ذراعيه.

ولكن السيدة الشابة لم تتجرأ برفع عينيها نحوه. وأخذت في البحث عن مهرب لها، ولكنها لم تستطع أن تهرب من الرغبة التي كان هذا الرجل يلاحقها بها.

انسحب من السرير، واقترب منها، بينما "چولييت" تتباعد قليلاً.

– ماذا تريدين أن تعملي الآن، هل ياترى تريدين أن ترتدي ثيابك الحزينة؟

كانت تريد أن تعترف له بأنها قد سرت كثيراً من هذا المشهد الذي وجدت نفسها فيه، ولكنْ كبرياءها منعتها من هذا.

– إنه توجد صفة توصف بها النساء اللاتي في مثل حالتك هذه.....

– ..... من هو هذا الذي يقود رجلا بهذه الطريقة ويتركه في منتصف الطريق...

– اخرج من هنا حالاً! أرجوك.

ظل مشدوهاً لفترة من الزمن، وكأنه يريد منها أن تعيد أمرها هذا مرة أخرى. وبعدما كان ممتلئاً برغبة جامحة انتابته هذه الليلة، فإنه توجه نحو باب الغرفة، خارجاً منها، مغلقاً هذا الباب بشدة وراءه.

تلمست "چولييت" أجزاءها التي كانت ترتعش، وتنفست الصعداء وقالت:

– اخرج من أحلامي...

الفصل السابع

في الساعات الأولى من هذا الصباح الباكر ومنذ بزوغ الفجر، بدأت الحفارة العمل.

أعطى "شندلر" إشارة من يده، التي كانت ترتدي قفاز العمل الثقيل، وبدأت محركات العمل الدوران. منتصباً باعتزاز في مكان العمل، وسرور بالغ عميق انتابه، عند رؤيته لآلة الحفر ترتجف في أعماق الأرض آخذة معها برأس الحفارة إلى عمق أربعمائة متر تقريباً.

آه، كم كان يعشق هذا العمل! إنه ليس المال الذي كان يصبو إليه، بل الرغبة، والإحساس بالمخاطرة والمتعة في لعبة هذا الإحساس القديم: الذي هو المخاطرة في هذه الحياة.

إن البعض كان يصفه بالمخاطر أو بالرأس المدبر. ولكن كانوا هم أنفسهم لا يستطيعون أن يعيدوا أرضاً بوراً غير صالحة لشيء إلى أرض خصبة، فالذي لا يجرب العمل في شيء ما، فإنه لا يوجد شيء عنده ليعمله... "شندلر" هو الذي كان يعرف تماماً ماذا يجب عليه أن يعمل وماذا يريد. كان يريد أن يستثمر الذهب الأسود من أعماق هذه الأرض. وكان يرغب في إبهار المشاهدين بحمى أفكاره بأن يقدم لهم هذا الكم الهائل من الرمل الأسود المتدفق بشدة نحو السماء ليلتصق بالشمس. وأخيراً، إنه كان يرغب في إحياء ذكرى جده إلى ذاكرة المشاهدين...

وفي الأغلب أيضاً، كان يريد لـ"چولييت" أن تشعر بحبه أكثر شيء كان يشغل باله هي هذه الصورة لـ"چولييت" وهي متربعة علي عرش قلبه وإحساسه ووجدانه في الوقت الذي لم يكن ينتظر فيه إلا أقل القليل. لقد مر بمغامرات كثيرة من قبلها، ولكن دون أن تترك أية أثر في نفسه أبداً، وبدون أي تعبير حزين عندما كان

يجب عليه الذهاب، وأيضاً لم يصادف أبداً في حياته امرأة ترفضه بعنف شديد بينما هو يتعلق بها أكثر فأكثر.

ولكن ماذا دهاه؟ المال موجود عنده بكثرة حتى إنه لا يعرف ماذا يفعل به، والأصدقاء أكثر فأكثر حتى إنه يستطيع أن يقدم لهم السيارات التي يرغبونها، ومن وجهة أخرى لم يكن هذا هو كل ما يريد. فإنه كان يشعر دائما وكان شيئاً ما ينقصه، إنه الآن وقد عرفه: إنه هذا الشيء الأساسي والخاص بحياته الشخصية. وهذا الفراغ الذي أمضى كل حياته به، فهاهو الآن، يخرج إلى الوجود، ليصبح له اسم وعنوان وعائلة أيضاً....

"شندلر" كان يرغب "چولييت" كثيراً حتى الأعماق. ولكن من هنا، وكان الضعف في الحب ظل وكأنه أمر في الحب. ولكن السيدة الشابة قد مرت بمآسٍ كثيرة. أكثر من اعتقاده بالكلمات التي سمعها من الدكتور "ريبون" ومن الكوابيس التي أخجلتها. فقد شعر بها وكأنها حيوان مجروح وهي ترتجف. لم يعد باستطاعته التحمل أكثر من هذا، وإنه لا يريد أن يأخذ بانفعالاتها على سبيل الواقع.

هل يا ترى يجب عليه أن يبوح لها بحبه، مع العلم بأنه لا يعرف مدى وطء هذه الكلمة بعد في نفسها؟ هل يا ترى يجب عليه أن يعدها بإيقاف هذه الدورات المجنونة، مع العلم بأن العقود تنهمر عليه من كل جانب؟ كل ما يعرف هو أنه لا يريد أن يخسرها. إنه لا يريد أبداً لهاتين العينين الزرقاوين أن تبقيا حزينتين عند وداعه.

وأيضاً كان "شندلر" يعمل المستحيل للخلاص من هذه الرغبة الجامحة فيها لكي يعطي عمله كل ما هو باستطاعته، وإنه من الجهل الكلي أن أول إثبات للحب هو أن يكون الحبيب مستغنياً عن أي شيء آخر حتى العمل.

في اليوم الأول من فصل الصيف، كانت ثمار "البندورة" التي زرعتها بيديها آخذة في النمو تدريجياً، حتى وصلت تقريباً لعلو متر واحد. هذه النتيجة الجيدة تزيد في إثبات أن القوة على القدرة في العمل تستطيع أن تصل إليها عن طريق الكثير من الأعمال.

انتهت "چولييت" من نزع الأعشاب الضارة، ووضعت يدها لتدلك ظهرها الذي كان يؤلمها كثيراً وانسحبت من الحقل. في الوقت المنتظم الذي ترتفع فيه ثمار هذه "البندورة" فإنها سوف تكون جاهزة للقطف في الأول من شهرتموز (يوليو) الحالي. ولم يعد عندها غيرها...

نزعت السيدة الشابة من يديها قفاز البستاني، تلك اليدان اللتان كان ظاهراً عليهما الكثير من الاعتناء اليومي بهما. فقد تفادت الشمس الحارة التي كانت متجهة نحو عينيها، واتجهت نظرتها نحو حقل الشعير الذي كانت الحفارة منتصبة فيه. إن هذه القطع النحاسية المنتصبة فوق هذه الأرض الفقيرة والمقفرة كانت تبدو وكأنها أقوى من شجرة ممتدة في وسط المحيط. لم تر "چولييت" أي عامل منهم، ولكن صوت المحرك المتناغم بإيقاع متوازن والآتي من أرض العمل هذه، يدل على أن الحفارة تدق بكامل قواها.

كان "شندلر" قد شرح أنه يجب عليه العمل على الأقل لمدة أسبوعين، قبل أن يصل إلى أية دلائل مادية. والبارحة فقط، قد ذهب للبحث عن مسؤول عن أنابيب الحفر هذه لكي يثبتها، وأيضاً جلب معه العلاج اللازم للجد "بات". ولكن هذا هو الشيء الذي كان يضايق "چولييت". وفي اليوم التالي لهذه الليلة المشهورة التي أمضياها معاً، لم يكن يريد أن يشرح لها الكوابيس التي رأتها ولا حتى عن تصرفاتها الصباحية التي قامت بها. ومع تذكرها، كيف ارتدت ثيابها على المقلوب، فإنها حتى الآن ترتجف

وترتعش من هذا المنظر الذي آلت إليه. وكان "شندلر" وبكل بساطة وصراحة مسروراً جداً لهذا المشهد، بينما هي لم تكن تريد أن تسمع غير غضبها لهذه اللحظة غير المعروفة. ولكن بالطبع، فإن ردود الفعل السلبية، لا تعطي أبداً فعلاً إيجابياً، وكانت تعتقد أنها تستحق التوبيخ أكثر منه بالطبع.

وهي ترخي ذراعيها عندما أدارت ظهرها لأشعة الشمس، متجهة نحو المنزل الذي كان بانتظارها، هو وكتابها الروائي الأبدي متسائلةً عن أي من الدائنين الذين سوف تبدأ بالسداد لهم أولاً. وعن أي منهم الذين يستطيعون الانتظار حوالي الشهر تقريباً. فعلى الأقل لم يبق لديها الكثير من الزمن.

ففي شهر تموز (يوليو) المقبل، سوف يكون عندها البترول. والكثير من البراميل المليئة، وأيضاً النقود الوفيرة. ولكن لن يكون "شندلر" عندها أبداً. ولم تكن تستطيع أن تقدم نفسها له. فإنه لم يكن من النوع الذي يستطيع المكوث بمكان واحد إلى الأبد، لم يكن من النوع الذي يستطيع الاعتماد عليه عندما تريد منه هذا، وعندما تكون الأمور غير عادية لديها. وهذا الشعور من عدم الاستقرار كان يعصر قلبها لأنها، ومع كل هذا الجنون الذي آلت إليه، فإنها تحبه.

إنها تحبه!

"چولييت" كانت تحب فيه هذه الضحكة القوية والقاسية التي تخرج من صدره، لأنها عبارة عن قوة داخلية خارجة من الأعماق وكبرياء خارجية مميزة. وكانت تحب أيضاً هذا التعصب الوطني الذي كان ينتمي إليه في بعض الأحيان.

كانت تحبه كثيراً حتى إنها تريد الاعتراف بهذا الحب بأعلى صوتها للعالم بأسره. ولكن السيدة الشابة لا تستطيع التحدث بهذا الحب لأي كائن ولا حتى جدها المقرب إليها جداً. كانت تحبه

كثيراً لدرجة أنها لا تسمح له بالابتعاد عنها أبداً.

*****

- أين أنت يا جدي؟

- إنني هنا يا حفيدتي الصغيرة.

خرجت "چولييت" إلى التراس المكان الذي كان فيه خيال لشعر أبيض مرسوم تحت ضوء القمر. كان جالساً على الأرجوحة الخشبية، مائلا برأسه إلى الأمام لكي يساعد نفسه على التنفس وكانت تكره أن تراه يتعثر لكي يشهق نفحة من الهواء تساعده على التنفس. ولكنه كان يرفض اتباع العلاج المهدئ الذي وصفه له الدكتور "ريبون"، لأنه كان يتضايق جداً من كل شيء يريحه حتى النوم طوال النهار.

- هل يا ترى أستطيع الجلوس إلى جانبك؟ سألته.

- ألا تتضايقين بسببي.

- كلا.! مازال الوقت مبكراً لكي أخلد إلى النوم.

أفسح الجد "بات" لها مكاناً إلى جانبه، ثم بدأ السعال من جديد.

- اذهب إلى الجحيم أيها السعال! قال هذا، منزعجاً. سوف أصارع حصانا مريضا مثلي، في حال الانتهاء من هذا السعال.

وضعت "چولييت" يدها في الحال على ظهره لكي تساعده على الانتهاء من هذا السعال.

- لا تقل هذا يا جدي.

- مع العلم بأن هذا هو الواقع، قال هذا بطريقة فلسفية. إننا نعامل الحيوانات بالرفق أكثر من الإنسان نفسه.

- إنني أحذرك، يا جدي، قالتها بكل تأكيد مخبئةً خوفها في هذه اللحظة وراء غضبها منه لأنه لا يتبع التعليمات.

فإذا تكلمت أيضاً فسوف أطلب الدكتور "ريبون" لكي يدخلك المستشفى للعناية بك أكثر.

– آه يا حفيدتي، إنه ليس الموت الذي يخيفني بل الأطباء أنفسهم.

– ليس من الضروري أن تقول الآن شيئاً، لن أسمح لك بهذا أيضاً.

فقد قدمت له المساعده على التنفس ولكن طبعاً ليس كاختصاص الرئتين.

– إن الجسم له الحق في الموت عاجلاً أم آجلاً.

– كفى يا جدي. قالت هذا وهي تحرك له أذنيه بيديها بطريقة تساعده بها على التنفس. معتمداً على إنسانيتها، أخذ "بات" بيديها وأبعدها عنه وقال:

– أرجو أن تعطيني وعداً قاطعاً بألا تبعثي بي إلى المستشفى حين مرضي الشديد، وبألا تسمحي لهم بوضع الأنابيب في جميع أنحاء جسدي....

– إنني أعدك بهذا.

– أعطيني وعداً بأن تبقيني أموت في المنزل.

كان الواجب عليها الاعتناء به لكي ترد له الجميل مقابل تربيتها بإعطائه وعداً لم تكن متأكدة بأنها تستطيع أن تفي به. الكثير من الصور المتلاحقة من حياتها بالقرب من جدها "بات"، أتت إلى مخيلتها: طفولتها، مرحلة شبابها، وزواجها من "لاري" وبعدها فترة دفنه الأبدي....

– إنني أعدك بهذا.

– شكراً يا عزيزتي.

وبدآ بالأرجحة بهدوء وهما يسمعان أصوات صراصير الليل، وصوت القبلة المعتاد والتي يترافق معها ضربات الحفارة المنتظمة.

كان قد مر عليهم من الوقت حوالي الأسبوع وهذه الأنابيب النحاسية تحفر في الأرض، مبقية "شندلر" بعيداً عن المنزل، منذ بزوغ الفجر وحتى وقت متأخر من الليل. مثل هذه الليلة، التي هي مثل كل ليلة من هذه الليالي التي مرت.

لقد ناداها من "الكرفان" ليخبرها بألا تنتظره على العشاء. ولقد اقترحت "چولييت" عليه بأن ترسل له عشاءه إلى الحقل، ولكنه رفض هذا الاقتراح، واعداً إياها بأن يتناول أي شيء موجود في الثلاجة، عند عودته.

كان القمر يبعث بخيوطه عبر الغيوم والسيدة الشابة كانت تتفحص حقل الشعير لعلها ترى هذه القامة المنتصبة لـ"شندلر"، ولكن دون جدوى فالظلام الدامس لهذا الليل يختلط مع سواد لون الحفارة، ومن هذا المكان تصدر ومضة صغيرة من الضوء الأحمر لكي تعلن للطائرات وجودها. وعلى أرض العمل تتراقص الظلال الوهمية والتي يبدو منها بصيص من الضوء الأزرق اللامع غير الواقعي والحزين. كانت الأنابيب الفولاذية الصلبة قد أعطت لمعاناً من أثر البخار الآتي من الحفر، وللرجال أيضاً.

كان "حشد" هائل من الرجال يهدرون بصوت حديدي كمحركات الديزل أيضاً. كان هذا صوت النقود الآتية من البترول.... وأيضاً كان هذا صوت الوداع....

وقفت "چولييت" في التراس وتوجهت نحو الحقل لكي ترى الكتل الغامقة لثمار "البندورة" التي كانت بالنسبة لها تمثل حياة جديدة. كان حساؤها مصنوعاً بدقة، وكان وجودها قد تغير. بعد وفاة "لاري" كانت تعمل وكأنها مريضة لكي لا تفكر فيما حدث لها. كان هذا هو الملاذ الوحيد لحياتها والذي أعاد إليها حياتها الطبيعية كما استعانت بإحدى الفتيات لمساعدتها في أعمالها.

– عندي إحساس بأن "شندلر" لن يعود هذا المساء، قال "بات"

هذا.

– وانا أيضاً أعتقد هذا، أضافت "جولييت" وهي تأخذ بعين الاعتبار أن جدها أصبح يفضل "شندلر" أكثر منها.

أدركت السيدة الشابة أنه يجب عليهما، عاجلاً أم آجلاً، أن يعتادا على منزل خالٍ من جديد.

وبعصبية شديدة– لانتظاره ولكن دون جدوى– اقترحت على جدها أن تساعده على الدخول في المنزل والخلود إلى النوم.

– تعال يا جدي، قد حان الوقت لـ...

في هذه الأثناء رأت السيدة الشابة "الچيولوچي" الذي بدأ الاقتراب من التراس قاطعاً الحقول، ولكن قلبها توقف عن الخفقان حين رؤيته إلا لدقة واحدة فقط.

– جئنا لذكر الدين...

تسلق "شندلر" الدرج بسرعة فائقة.

– السلام عليكم، أيها الغريب! قال هذا الجد "بات"، وهو مبتسم من فرحة رجوعه.

– هل أنت جائع؟ سألته "جولييت".

– ما حال البئر؟

– هل تحب الدجاج بارداً؟

– وهل ياترى ترغب في لعب ورق الشدة؟

متحملاً هذا القذف من الأسئلة، وضع "الچيولوچي" يديه إلى الأمام وقال:

— لكي أجيب عن أسئلتكم هذه فسوف أبدأ بالسؤال الأخير وحتى النهاية: بعد فترة من الزمن إذا كان ممكناً، فإنني أحب هذا جداً، ممتاز، وإنني جائع للغاية. ولكن وقبل أي شيء فإنني في حاجة إلى حمام جيد.

جسمه الرقيق كان يتصبب عرقاً، ولكن من وجهة نظر

"جولييت" لم يكن قد بدا أكثر جمالاً مما هو عليه الآن.

– إنك سوف تجد الكثير من المناشف النظيفة في خزانة الحمام، أكدت له هذا. وقبل أن يصعد إلى الطابق الأعلى ليأخذ الحمام، نظر نحو "جولييت" وابتسم ابتسامته المعهودة التي كانت هي سره. وبعد عشرين دقيقة، كان ثلاثتهم مجتمعين معاً في التراس. وكانهم عائلة واحدة طبيعية مجتمعة في آخر النهار، الجد والحفيدة جالسان على الأرجوحة الخشبية و"شندلر" جلس على كرسي هزاز بكل راحة، واضعاً على ركبتيه صحن الطعام. كان يلتهم عشاءه البارد بشراهة، قبل أن يتنفس ليقول كلمة شكر على الأقل.

– كان هذا لذيذاً.

– ألم تتناول أي شيء اليوم؟ سألته "جولييت"، وهي حزينة عليه.

– لم تتح لي الفرصة، أجابها قبل أن يتناول شربة كبيرة من الشراب المنعش.

– لقد قلت لك مراراً أن ابعث إليّ عندما تكون جائعاً، لكي أحضر لك شيئاً ما. ذكرته بذلك.

– هذا الذي سرني منك، ولكن هذا الشيء يضايقني أمام الآخرين. أجابها بهذا.

سأله الجد "بات" سؤالاً عن عمله في الحفر، الذي قادهم إلى التفاصيل التي لم تهم "جولييت" أبداً. هذا المشروع الذي لم تعره أي اهتمام الآن كان قد شغل بالها لفترة طويلة من الزمن. وإذا سار هذا العمل بنجاح وكما يخططون له فسوف يصل بهم الوقت أن يجتمع الثلاثة مع بعضهم البعض بصفة غالبة.

ولكن "شندلر" لم يدعها لأحلامها سائلاً الجد لماذا لم يستلم هذا المشروع بنفسه ويحفر أرضه.

– لم يعد لي أمل في الحياة عندما فقدت زوجتي "روث"، أجابه بهدوء.

– لقد كنت تحبها كثيراً، على ما يبدو.

– إنه لم يمض علي يوم قط منذ رحيلها وحتى الآن، وكل نبضة في جسدي تشعر بفقدها.

رمق "الجيولوجي" هذا الجد بنظرة فاحصة وهو يتكلم عن ذكرياته. لم يكن قد رأى في حياته مثل هذا الشعور المخلص لامرأة، وأنه لم يكن قد صادف أبداً في حياته مثل هذا الإخلاص. وسأل نفسه عما إذا كان سوف يحصل له هذا في يوم من الأيام.

– توجد عندنا أشياء نختلف بها عن بعضنا البعض، ولكن أيضاً توجد أشياء نتفق عليها معاً.

لم تستطع "چولييت" التخلص من التفكير مرة أخرى في الوعد لـ"شندلر" بالإثبات له عن الأشياء المشتركة بينهما أيضاً. وبدون أن تنظر النظرة التي نظر بها إليها في هذه الأثناء فقد أثبتت بالإيجاب.

وسعلة قوية وقاسية من الجد أصابتهما بالفزع، فقفزا لنجدته وبكل تفاهم معاً هما الاثنان. أدخلاه داخل المنزل. أعطته "چولييت" حبوبه المهدئة لكي تساعده على الخلود إلى النوم، وقبلته بينما كان "شندلر" يطفئ إنارة المنزل.

في هذه الأثناء دقت ساعة الحائط معلنة العاشرة مساءً.

– إنني سوف أترك باب غرفتي مفتوحاً، في حال استيقاظ جدي، همست "چولييت" بهذا، بينما كانت تسمع دقات قلبها في كل ناحية من جسدها. لم تستطع أن توجه ناظريها نحو "الجيولوجي"، خوفاً من أن يقرأ في عينيها مدى حاجتها إليه هذا المساء. بينما رافقها هو الآخر حتى أسفل الدرج. وقف وتفحصها جيداً، مؤكداً لنفسه أنها لا يمكن أن تكون له في هذه الليلة،

ولكن هذا يمكن أن يضايقها أيضاً. ولكن قرر أخيراً أن يتركها لشأنها وحيدة على الدرج.

– "شندلر"... هل تجرأت بمناداته باسمه، وقد سبب له هذا الوضع صعوبة بالغة.

– لا تقولي شيئاً، يا "چولييت"، قطع عليها حديثها وهو يفضل ألما صغيرا الآن عن جرح كبير لا يندمل أبداً.

– أين... أين تريد أن تذهب؟

– سوف أرجع إلى أرض العمل.

– لكثير من الوقت؟

– على الأقل، بضع من الساعات.

– سوف أنتظرك.

قالت هذا ويدها على قلبها.

فتح "شندلر" الباب على مصراعيه مما أدى إلى اصطدامه بالحائط من شدة فتحه.

– أرجو ألا تنتظريني.

– ماذا يعني هذا الذي تقول؟

– شايا مثلجا وعصير برتقال. قالت "چولييت" وهي تلاحظ فوراً النظافة التي آل إليها هذا المكتب.

– إنني أعتذر، لا أستطيع أن أقبل هذا، أجابها "شندلر" متضايقاً.

– إن جدي وأنا قد أحضرنا لك الفطور والشراب، وللمجموعة كلها أيضاً.

– إنكما تزعجان نفسيكما معنا! صرخ بهذا وهو يأخذ "الترموسين" اللذين مدتهما له.

وضعهما على الطاولة، بعدما تخلص من منفضة السجائر الملأى بالأعقاب، ومن علب الشراب الفارغة المبعثرة هنا وهناك في فوضى

متناهية.

– لماذا تعملون كل هذه الفوضى؟ هذا ليس صحياً، العمل لنهار كامل بدون أن تتناولوا أي شيء من الطعام.

أرجو أن تتبعني، فإنه يوجد في سيارتي بعضاً من الطعام.

وجاء كل الحشد لكي يتناولوا طعامهم، وبعد ساعة ونصف من الوقت رجع كل واحد منهم إلى موقع عمله، البطون مليئة والجيوب أيضاً بفضل هذا الرجل العجوز "بات".

– إنني لم أصدق أنكم قد صنعتم كل هذا الطعام لأجلنا، قال "شندلر" متعجباً وهو يبلع اللقمة الأخيرة من طعامه.

– إذن، ها نحن متساوون؛ لأنني أنا أيضاً، لم أستطع أن أصدق هذه الأعجوبة من رؤية مكتبك هذا بهذه النظافة.

– إنني لا أعرف ما إذا كان قد نجحت تجربة القفاز الأبيض، ولكن وبعد أن قارنها أحدهم بوكر الشعبان، كان يجب عليّ أن....

– لا تعد هذه القصة الخرافية، قاطعته وهي خجلى. إن هذا لا يعنيني وما كان يجب علي أن أنتقد هذا أيضاً.

– اسمعي، مؤكداً لها هذا، إنني الأول الذي وافقك على أنها حظيرة حيوانات، ولكنك فقط أعطيتني حافزاً للابتداء بهذا العمل الذي كنت أريد أن أعمله منذ شهور عدة.

– هذا مدهش، في الوقت الحاضر.

– إنني أشكرك مرة ثانية.

وحتى الآن لم يستطع أحد منهم أن يتحدث عن المساء لليلة البارحة. ولكن الصمت مازال يخيم على الكلمات التي لا يستطيعان البوح بها.

– «لقد انتظرتك حتى منتصف ليلة البارحة» روت هذا عيناها الزرقاوان الحزينتان.

«ولقد قلت لك بألا تنتظريني»، أجابت هاتان العينان الداكنتان.

وهذا هو الجد "بات" الذي يقطع عليهما سكونهما هذا:

– وهل ياترى اعتقادي في محله؟

– ماذا تقول؟ سالاه معاً.

– أقول عن هذا، أعلن مشيراً نحو طاقية قديمة ومهترئة والتي ربحها بسهولة.

– كانت هذه "لجدي"، أكد "شندلر" بهذا، مادا يده نحو كأس من الشراب المنعش.

رأت "چولييت" يديه الطويلتين الناعمتين وبدأت التصور.....

– وهل ياترى أن الذي أفكر فيه الآن صحيح؟ أضاف الجد "بات" هذا. لقد ساعدت الطفلة الصغيرة والتي يمكن أن تكون والدتك حسب تصوري بالتقاطها بعد أن بعث بها الهواء بعيدا، اليوم الذي اكتشف فيه والدها البترول الموجود في أرضنا.

– كان يلقبها بطاقية الإخفاء، شرح ذلك "الچيولوچي".

– وحتى لو بلغت من العمر مائة عام، فإنني لن أنسى أبداً المواقف التي تبعث في نفسي الدهشة، وإنني لن أنسى وجه هذا الرجل عندما بدأ الرقص على أرضنا من فرحته.

– لقد دلني على الخطوات التي يجب عليّ اتباعها، في يوم من هذه الأيام والتي لم يكن قد أنهكة المرض فيها بعد.

متناولاً الشاي المثلج وكأنه كأس من الويسكي والذي قُتِلَ به جده، أضاف "شندلر" إلى حديثه هذا بضحكة رنانة:

– يجب أن أعترف بأن هذه الرقصة تبدو لي من الشراسة قليلاً، وأن هذه الخوذة القديمة لا تعني شيئاً الآن، سوى القيمة الإنسانية.

كانت "چولييت" ترغب جيداً في معرفة ما يخبئه وراء هذه الأفكار المتشعبة، ولكنها لم تجرؤ على السؤال عن التفاصيل

الدقيقة لهذا الحدث.

– ما رأيك في الذهاب في جولة استطلاعية؟ اقترح هذا.

– إن كان هذا لا يضايقك، فسوف أبقى هنا لأخلد قليلاً إلى الراحة، اعتذر الجد "بات" بهذا.

– ابق في الزاوية الأخيرة لهذا المكان، فإنه يوجد هناك سرير من أسرة الخيم تستطيع أن تتمدد عليه.

بعدما ساعده على التمدد على السرير، التقى "شندلر" بـ"چولييت" عند باب المكتب.

– إنني لم أشكرك بعد على هذا الطعام اللذيذ، همس بهذه الكلمات واضعاً يده حول خصرها النحيل.

– أرجو ألا تقل هذا، أخذت في القول واضعة يديها على كتفيه العريضتين، مندهشة من شجاعته البالغة.

– كيف أستطيع أن أشكرك بالفعل؟

– إنك تستطيع أن ترسل لي قليلاً من الورد.

– إنه لا يوجد بائع ورد هنا وحتى على بعد مئات الأميال حول هذا المكان.

– إذن يجب أن يكون عندك أفكارك.

– بالطبع.

وفجأة صدر صوت قاس من الخارج أرجعهما إلى واقع أمرهما: "شندلر" وبسرعة، قادها سريعاً نحو الباب.

– إنهم يقولون بأن الحفارة قد وصلت إلى هدفها في الأرض.

– أية سمكة كبيرة من الرزق الوفير سوف نأخذ؟

– إنني أخاف أن يكون قد انكسر أنبوب من أنابيب الحفر.

ضجيج محرك الديزل قد توقف، والعمال يستعدون لرفع الأنبوب الفولاذي من البئر، لحين إصلاحه. رافقت "چولييت" "شندلر" إلى أرض العمل وبعكس المرة الأولى، فقد أحست وكأنها

واحدة من المجموعة هذه، مجموعة العمل. فإن العامل "تكس" قد أشار إليها بيده مرحباً بها. والثاني "سكيني" قد شكرها بحرارة لمساعدتها له في الليلة الفائتة.

أمعنت "چولييت" في النظر إلى هذا "الچيولوچي" وهو بكامل قواه الجسدية والفكرية فإن جسده المشدود، ووجهه المشدوه نحو عمله، وعماله يعبران عن مدى الحب الذي يكنه لعمله وعماله. فذراعاه المفتولتان، ووسطه المشدود ورجلاه الممتلئتان في هذا البنطال الچينز، كل هذا يعكس الرجولة الجميلة والأخاذة الموجودة في هذا الكون بأكمله.

– أظنني قد أمسكت به، نبههم بهذا، إذن يجب عليك أن ترفعه إلى أعلى الرأس المكسور.

– لقد أمسكت به من المرة الأولى، هذا شيء عجيب! عبر عن هذا العامل "سكيني" متعجباً لهذه القدرة.

– هذا شيء جيد لأنه يوجد عندي شيء آخر لأنجزه من أن أمضي بقية هذا النهار وأنا منتصب فوق هذا الأنبوب، شرح "شندلر" هذا رامياً "چولييت" بنظرة معبرة، وتخطى موقع العمل متوجهاً نحو السيدة الشابة لملاقاتها.

– أين كنا، قبل هذا الانقطاع المفاجئ؟

– إنك كنت تريد أن تقدم لي جولة حول الأملاك هذه.

– لماذا لا تمعنين في النظر إلى هذه الأملاك من الأعلى؟

– كلا شكراً، علقت على هذا الاقتراح، متذكرة السقالة المعلقة فوق الحفار من أعلاه.

– هل تصابين بالدوار من الأماكن المرتفعة.

– إنني أنزف دماً من أنفي وأنا على علو كرسي فقط، اعترفت بهذا، فكيف وأنا على هذا الارتفاع الشاهق.

– إنك لا تقدرين الخسارة التي تبددينها.

– نعم أعرف، بعضا من المغالطات.
– إنني أتكلم بكل صدق.
– وأنا أيضاً.
– أرجو أن تعملي هذا المعروف إكراماً لجدك، مصراً على موقفه هذا.
– ما هو بالضبط؟ سألته عن هذا وهي مقتنعة تماماً بأن لو كان جدها "بات" موجوداً لدفعها لقبول مثل هذا العرض.
رمقها "شندلر" بنظرة مذنبة ومتداعبة معاً.
– إنني لن أصعد إلى الأعلى إلا بشرطين اثنين.
– ما هما؟
– أولاً: إنك سوف تكون مربوطا بالحبل.
– وهل تخافين عليّ، من أن تريني أسقط إلى الأسفل؟
– نعم.
– إذن أنا موافق على هذا الشرط الأول.
– وثانياً: لن نصعد إلا للمستوى الأول فقط.
– عن إذنك سوف أطلب من "سكيني" أن يشغل المحرك وقبل أن تضيف أية كلمة أخرى، رأت "چولييت" نفسها مربوطة بحبل النجاة وبدأت ركبتاها ترتجفان، وأحست بأنها قد ارتفعت عن الأرض. وكانت قد وعدت، بالا تنظر أبداً إلى الأسفل وحلقت وكان رفيقها من ورائها، وذراعه حول كتفيها لكي يحميها من أية متاعب قد تصادفها.
– إذن ماذا ترين؟ سألها وكانا قد وصلا إلى المستوى الأول من الارتفاع.
– إنني أرى هذا مدهشاً بالفعل، أقرت بهذا بكل صراحة وبعكس عاداته، لم يكن "شندلر" أبداً متضايقاً من رؤيته هذه الأراضي التي آلت إلى عائلة "ديون" منذ أربعة أجيال تقريباً.

ولكنه كان متعجباً لشعوره هذا بأنه كان يريد أن يجلس ويخطط لمشاريعه المقبلة.
– إنني أشعر وكأنني مطلقة الحرية تماماً! قالت "چولييت" هذا وهي دهشة تماماً من وضعها هذا. وأضافت وكأنني لي جناحان ومحلقة في السماء.
حدق "شندلر" بشدة إلى هاتين الوجنتين الذهبيتين الملوحتين من أشعة الشمس، وإلى هاتين العينين الكبيرتين الزرقاوين واللتين أكثر زرقة من هذه السماء الصافية التي كانت تحيط بهما. وهذا الموت الكائن في النفس، لقد فهم أن علاقتهما لن تستمر أبداً؛ لأن لا أحد قد استطاع أبداً أن يخلط الماء بالبترول.....
وأمسكها من كتفيها، وتوجه بها نحو سقالة الحفار.
– إنه من المستحسن أن نرجع إلى الأسفل.
– ولكن..... لم نصل إلا لتونا، وتركت يده، مرتبكة من هذا التغيير المفاجئ لوضعه.
أعطى "شندلر" إشارة للعامل "سكيني" لكي يقودهما إلى الأسفل وأخذت الآلة في التوجه نحو الأرض الصلبة واتجها إلى طريق العودة بكل هدوء. هو بكل جهده حاول أن يطرد "چولييت" من أفكاره، وهي بدورها حاولت باقصى جهدها فهم وضعه العكسي المفاجئ.
مرة واحدة فقط التي نسيت فيها نوبة الدوخة التي تصاب بها عادة، عندما كانت في حظيرة البقر. ووقتها قالت لنفسها: «خطوة جديدة في المسار الصحيح».
وبالرغم من أنه كان يريد تهنئتها لعدم خوفها من الصعود إلى الأعلى ولكن "الچيولوچي" أبقى صوته هادئاً قدر المستطاع.
– سوف أرسل معك أحداً من عمالي لكي يساعدك على نقل الأغراض التي جلبتها معك إلى هنا.

– وهل ياترى سوف تاتي للعشاء معنا هذا المساء؟ قالت هذا متسائلة بكل ضعف.

– كلا.

– آه.

ساد بينهما في هذا الوقت صمت قاتل دام طويلاً.

ولكي تكسر هذا الصمت سالت:

لا يوجد حتى الآن علامة وجود البترول؟ سالت عن هذا وهي متضايقة من وضعه. ومن خوفه لم يستطع التحكم في يديه، وضعهما في جيبه.

– لقد لاحظنا بعضا من العلامات على الاتربة، ولكن يجب علينا أن نحفر لعمق أكثر من هذا.

– وهل يا ترى أرسلت عينة من هذا للمختبر؟

– طبعاً.

– و... ماذا كانت النتيجة؟

– لقد أرسلوا في طلبي هذا الصباح، صرح لها بهذا، وهو غير قادر على تمالك نفسه من النظر إليها.

– وماذا قالوا لك؟

– وما الأهمية في هذا....؟ لو كنت لا اعتقد وجود البترول هنا، فإنني لن أضيع وقتي في الحفر أبداً.

تذكرت "چولييت" الملاحظة القوية على خوذة الساحر القديمة، وفهمت أن العلاقة الجيولوچية بينهما لم تكن بهذا الوضوح بالنسبة إليها. وأحست فجاة بخيبة أمل شديدة، ليس بالنسبة إليها فقط ولكن أيضاً بالنسبة إلى "شندلر". ولكن ومنذ الوقت الذي أحست فيه بان هذا الرجل هو بالنسبة لها أهم من النقود، كان هذا بدون أدنى شك منذ اليوم الأول الذي رأته فيه. لقد أحبته، وليس في هذا أدنى شك.....

السيدة الشابة حاولت أن تقول له أن البترول هذا لا يعني لها شيئاً الآن فقط، وأن وجوده بجانبها هو الذي يعنيها فقط. عن كل هذا الضجيج لمدينة "أوكلاهوما" بدأت سماع صوت المضخة وهي تعمل لتذكر هذا "الچيولوچي" بحقيقة وجوده هنا.

– سوف أعود إلى العمل، أعلن "شندلر" هذا، صاعداً نحو موقع العمل.

– في أية ساعة سوف تعود إلى المنزل هذا المساء؟ سالته "چولييت" بالرغم عنها مقتنعة تماماً بانها قد تعلقت به مثل ورقة الكرم البكر التي تتعلق جيداً بغصنها.

وفي وسط الطريق وقف والتفت نحوها وقال:

– إنه من المستحسن لي ولك من الآن فصاعداً أن أمضي بقية الأيام هنا في "الكرڤان".

– وهل تريد الذهاب إلى العرض العسكري الذي سيقام احتفالاً في الرابع من تموز (يوليو)؟ أضافت هذا متضايقه مما سمعته منه.

– وبأية صفة؟

– لقد وعدت جدي بان تأخذه انت في سيارتك.

– كان هذا الوعد من قبل ....

أحس "شندلر" لتوه بانه قد أخطأ في حقها بما قاله الآن.

– قبل ماذا؟ سالته باستغراب وهي لا تستطيع أن تقاوم هذه الرائحة الرجولية الآتية من جسده الفذ.

– هذا ليس من الأهمية في شيء.

– قبل ماذا؟ أصرت على سؤالها هذا بدون أن تترك له أية فرصة للهروب من الجواب عنه.

– قبل أن أفهم تماماً أنه من المستحيل عليّ أن أرتبط بأي شيء مهما كان، وبانك أيضاً لا تستطيعين التخلص حتى الآن من الماضي.

قفزت "چولييت" من موقعها وكانها أخذت صفعة قوية في قلبها، وبعدها وجدت في نفسها الشجاعة الكاملة لكي تعلق على هذا.

– إنك أنت الذي تتعلق تماماً بالخوذة القديمة التابعة لجدك...

– إن هذا الإحساس ضعيف أبله، عبر عن هذا بكل جفاء وبدون أن يقف لسماع باقي ما عندها، أراد الذهاب ولكن "چولييت" أمسكت به من قميصه الخارجي، وأكملت ما عندها.

– لماذا نال الشيطان منك لهذا الحد، حتى إنك لم تعد تستطيع البوح عن مكنونك الداخلي لأي شخص كان؟

– إنني لا أعرف عما تتحدثين، علق بهذا وهو مقبض على معصمها ضاغطاً عليه بقوته حتى آلمها.

ومع هذا فإنها لم تحاول التخلص منه.

– إن هذا الاعتراف يزعجك تماماً بانك تحتفظ بهذه الخوذة لانك مولع بحب جدك؟

– ليس أكثر من انزعاجك من الاعتراف بانه لم يكن عندك أية سيطرة على تصرفات زوجك "لاري".

– أوضح أكثر، ماذا تريد أن تقول بهذا؟

– إنني أريد أن أقول إنني أعرف جيداً بأن زوجك قد انتحر.

– ومن الذي قال لك هذا...؟ سالته وهي تتخلص من قبضته.

– إنني أعرف أنك قد وجدته في المستودع عند عودتك من العمل و....

– ومن الذي قصَّ عليك هذا؟ أعادت قولها هذا له.

– وإنني أعرف أيضاً– أكمل حديثه غير مهتم بسؤالها– أنك كنت ترغبين دوماً في استمرار وجودك في المنزل لكي تمنعيه من فعلته هذه.

– إن الدكتور "ريبون" كثير الكلام جداً.

– وأنت لا تتكلمين إلا بالقليل، أضاف بكل حدة.

تخلصت "چولييت" نهائياً وبسرعة من قبضته القوية والتي علمت على يدها.

– وبأي حق تتكلمان عني من وراء ظهري بهذا الشكل.

– لقد أخذت مني عشرين ألفاً من الدولارات....

– إنني لم أعمل هذا في حياتي كلها!

– إنك تعرفين جيداً بأنني أريد أن أحفر هنا في....

– كنت قد وصلت إلى درجة الضياع في أفكاري هذه!

– إنك لا تستطيعين الاعتماد على الحياة غير الآمنة وغير الموجودة للسيد "لاري".

– لم يكن عندي أدنى فكرة إلى أين سوف أتجه، ولم أجد أي شخص أستطيع أن ألوذ به.

– وهل يا ترى طلبك بالقرب مني تعيدينه ثانية على سمعي...

– لقد كنت أظن أن الله قد استجاب صلواتنا ودعواتنا فارسلك إلينا، رمت بهذا الكلام وهي ترمي بناظريها إلى الأسفل.

وبنظرة حادة منه، أعادها "شندلر" إلى واقعها.

– هل أنت مسرورة الآن، لقد أخذتني رغماً عن أنفي، هيه؟

– هذا ليس صحيحاً!

– قبلة من هنا، وإحساس بالغ "بالشهوة من هناك... إذا لم يكن هذا من أجل "بات"، فسوف أصل إلى من كان وراء هذه الخطة المرسومة جيداً".

ظلت "چولييت" دهشة في مكانها. وإنه لم يكن يعتقد أنها قادرة على خيانته بعد كل هذا العمل لأجله... وفي داخلها كان يختلط الكل، الماضي بالحاضر في لحظة واحدة، وانفجرت في الصراخ وقالت:

– اذهب إلى الجحيم يا "لاري فلتشر"؟

والغضب قد أغمض عينيها عن كل شيء في هذا الوجود، وفجأة رفعت السيدة الشابة يدها متوجهة نحو الوجه النحيل الذي كان أمامها وأعطته صفعة قوية أرجعته إلى الواقع.

– وإذا كنت لم تمت أنت فإنني سوف أقتلك بنفسي!

كانت الصفعة قد نزلت على وجه "شندلر" مسببة له الاحمرار. أيضاً. رفع "شندلر" يده نحوها لينتقم منها، ولكنه لم يستطع وتركها تنزل. كان "شندلر" مستاءً أكثر منها. أيضاً هو الذي ترك "چولييت" هنا في أرض العمل شاحبة الوجه من الخجل وأفكارها مشوشة، وناداها من بعيد من أرض العمل الذي توجه نحوه:

– أرجو أن ترجعي إلى منزلك أيتها السيدة الشابة قبل أن أصيبك بالأذي أكثر من "لاري"!

الآن فقط أحست "چولييت" بالحزن الشديد لتأخر الوقت كثيراً.

فقد جرحها "شندلر" في الأعماق....

الفصل الثامن

اليوم الرابع من شهر تموز (يوليو) من كل عام هو الاحتفال بيوم الاستقلال الأمريكي، وكان هذا اليوم يوماً صافي الجو تماماً ورائعاً. و"چولييت" أمضت أول النهار في تحضير ما لذ وطاب لهذه النزهة التي تأتي بعد العرض العسكري وقبل الألعاب النارية. وذهبت لكي تقطف بعض ثمار "البندورة"، فاحست بإحساس جميل من الكبرياء، عندما رأت هذه الشجيرات ممتدة إلى الأعلى بشكل جميل بعروقها الخضراء وتتدلى منها هذه الثمار الحمراء اللذيذة.

وفي الربيع القادم سوف تزيد من كمية الحساء الذي سوف تعمله لأنها سوف تضيف بعضاً من الخضراوات الأخرى المتنوعة. وقد أخبرها الذين يشترون منها البضاعة أن الطلبات على الشراء في ازدياد، وقد اقترحوا عليها أن تضيف إلى مزروعاتها في الوقت الحاضر: الهليون والبنجر والجزر والسبانخ، لأن الخضراوات الناقصة هي المرغوبة أكثر وتعطي مردوداً أوفر.

هذا لم يكن في الحسبان بالنسبة لثقافة الجد "بات" القديمة التي عرفها، ولكن معادلة كهذه سوف تعود بالكثير على المزرعة وسوف يتنوع إنتاجها، وهذا كله يعود على عائلة "ديلون" والإبقاء على مزارعهم الخاصة.

أرجعها إلى واقع الحياة هذا الإيقاع المستمر للحفارة. ولكن "شندلر" لم تسمع عنه أي خبر منذ نقاشهما الحاد الأخير. كانت "چولييت" تقريباً متأكدة من إنه لن يأتي إلى العرض العسكري. وهذا سوف يزعج جدها كثيراً؛ لأنه كان يرغب في أن يكون وصوله إلى هناك في السيارة المكشوفة الخاصة بـ"شندلر".

وبكل صراحة فإن السيدة الشابة لا تمانع أيضاً في هذا. وبملاحظتها الدقيقة بالنسبة للكارت "البطاقة"، فإن الچيولوچي

قد دفع بها حتى آخر الطريق بمناقشته هذه، ولكنها لم تكن متأسفة على شيء فالذي قالته هو الصراحة التامة، وكان يجب عليها أن تقوله منذ فترة، ولكنها متأسفة على الجد "بات" إذا لم يأت "شندلر" ليأخذهما. ورن جرس قوي قادم من التراس أعاد إليها صوابها. وها هو جدها يناديها، ولكنها كانت متأكدة من أنه لا يوجد شيء خطير. ولو رنَّ جدها الجرس مرتين أو أكثر فإن هذا يدل على أن جدها يتألم لتهرع لإنقاذه. ولكي تعلمه بأنها قد سمعته فقد توجهت نحو المنزل.

– إن "شندلر" قد تكلم في الهاتف الآن، أفصح عن هذا وهو في قمة سعادته وكأنه طفل ينتظر هذه النزهة بفارغ الصبر وخاصة مع "شندلر".

– وماذا كان يريد؟ سألته بدون أن تستطيع إخفاء سعادتها.

– إنه يريد أن يسأل عن ساعة بدء العرض العسكري.

– – وماذا أيضاً؟ سألته وهي تستند إلى العمود الخشبي.

– عندما قلت له بأن العرض سوف يبدأ في تمام الساعة الثالثة، أجابني بانه سوف يمر علينا ليأخذنا في تمام الثانية ظهراً.

وبدت السعادة عليهما وأخذ قلباهما في الخفقان معترفين بأن "شندلر" لم يكن قد نسيهما. وفرحة من السرور البالغ بدت عليها، مدت "چولييت" يدها إلى الجد "بات" لتساعده على الدخول إلى المنزل للاستعداد.

– وماذا ننتظر لكي نجهز أنفسنا؟ فإن الوقت يمر بسرعة. ساعدت "چولييت" جدها على الدخول في الحمام قليلاً، ثم ليأخذ قسطاً من الراحة في القيلولة التي هو معتاد عليها قبل أن يرتدي ملابسه، ولكي تذهب هي أيضاً لتأخذ حماماً وتغسل شعرها قليلاً.

وقبل الساعة الثانية بقليل كانا تقريباً جاهزين وجالسين في

التراس، ومنتظرين بفارغ الصبر سيارة "شندلر" تسير فوق الممر الحجري للمنزل لكي تقف أمامه. وها هو "الجيولوچي" وقد بدا جميلاً جداً في بنطاله الچينز الرائع، وقميصه الأخضر الغالي ذي الياقة المليئة بالأزرار، والذي كان يرتدي تحته قميصاً داخلياً من القطن البيج.

نزلت "چولييت" لملاقاته وهي ترتجف من الفرحة والسرور.

– مرحباً، علقت على هذا الموقف بهذه الكلمة الهادئة. والتي لم تعرف ماذا تقول.

– مرحباً، أجابها بضحكة كبيرة بدون أن يتفحص السيدة الشابة التي ارتدت وبناءً على نصيحة جدها "بات" ثوباً من الدانتيل عاجي اللون، والذي كان في يوم من الأيام لجدتها، وها هو يبدو عليها الآن وكأنه لها تماماً وبدون أية إصلاحات. ولكن الذي أدهش "شندلر" كثيراً، هو هذا الخاتم الذي لم تكن ترتديه في اليد اليسرى: خاتم زواجها، وقد وضعته في يدها اليمنى. هذا الوضع قد أثاره جداً حتى إنه كان يريد أن يسبح في أحضانها.

– وأخيراً فهمت، قال هذه الكلمة بهدوء بالغ.

– لكل شيء زمانه، تنهدت بهذه الكلمات وهي تكبح نفسها عن الانفعال.

ولكن الوقت كان من ألد أعدائهما. يجب عليهما الذهاب الآن تاركين لقلبيهما العذاب أيضاً. ولكن جرس الساعة كان لا يريد الاعتراف لهما بحبهما هذا فلقد دق معلناً الساعة الثانية تماماً.

– آه لو أننا لا نذهب الآن حالاً، أشار "بات" بهذا، مرتدياً بذلته العسكرية الزرقاء والتي كانت ضيقة جداً عليه، وقال: إنني أحس وكأنني لا أستطيع احتمالها أبداً.

وضع "شندلر" الجد "بات" في سيارته "الثاندر بيرد" ورتب وضع سلة المأكولات في صندوق السيارة وأجلس "چولييت" إلى جانبه.

في المقعد الأمامي وقلبها يخفق بين أضلاعها وهي ممسكة بشريط كبير كتبت عليه هذه العبارة الجميلة التي تحمل المشاعر التي تختزنها:

«طالما يوجد عندنا حبوب فلنزرعها وطالما بقي عندنا من القوة فلنحصدها».

– إن هذه لأمثال قديمة، شرحت له، بدون أن تفكر في أنها يمكن أن يكون لها معنى آخر: سوف أقوم بلصقها على جانبي السيارة "الشاحنة" الخاصة بي.

– اسمعي، سوف أشير إليك بشيء أكثر أهمية الآن. لتلصقيها على سيارتي.

وبكل سرور ساعدته، "چوليت" على لصق هذه الشرائط على جانبي سيارته "الشاندر بيرد"، وبعدها توجه الثلاثة نحو مدينة "ريدمپشيون"، إنها القرية المجاورة. وكان الجد "بات" ملقباً بمواطن الشرف، لأنه كان المواطن الأقدم في هذه المدينة والمحبوب الأكثر لسكانها، وضع "شندلر" سيارته خلف سيارة رئيس البلدية تماماً.

سائراً نحو الأكثرية، فإن العرض اتجه من الشارع الكبير للمدينة لكي يتجه نحو الجنوب إلى الضواحي. وكان كل فرد أمريكي يحتفل بفرحة غامرة بهذا العيد الوطني الكبير ولكن ليس في مكان أو بلد مثل هذا البلد "ريدمپشيون" بكل ما تشعر فيه من حرارة هذا الجو المنعش وأصالة شعبه الوطني.

وأخيراً وصل الاستعراض إلى مشارف حديقة البلدية و"شندلر" أوقف سيارته عند حاجز كبير استطاع أن يضع تحته أغراض النزهة. رأت "چولييت" الدكتور "ريبون" ودعته للانضمام إليهم. كانت زوجته قد توفيت منذ بضعة أعوام، وقد كان ممنوناً جداً من هذا الكرم المضياف لمرضاه الذين كان يكن لهم كل مودة واحترام.

– وهل أنت متأكدة من وجود الطعام الكافي لنا جميعاً؟ سأل

"چولييت" التي كانت قد أحضرت من الطعام ما يكفي الجمع الغفير بأكمله.

– آه طبعاً، أجابته بكل بساطة.

– في هذه الحالة، فإنني سوف أكون مسروراً بالانضمام إليكم.

وأخيراً آل إلى نهايته هذا الخطاب الذي كان يلقيه رئيس البلدية الذي لم يكن يعيره أحد أدنى اهتمام، وخلال هذا الوقت رأت "چولييت" صديقتها "لوريتا" وأشارت إليها بالاقتراب منها. ولاحظت صديقتها فوراً التغيير الذي حصل لخاتم زواجها فاقتربت منها وهمست في أذنها:

– أيضاً خطوتان جيدتان في المسار الصحيح.

– بل ثلاث، أكدت "چولييت" بهذا وهي تصف ما حدث لها وهي فوق سقالة الحفارة،ولكنها لم تبح لها بالمشاجرة التي حصلت بعد ذلك.

– انظري، فإنك قد تجاوزت وضعك بإرادة قوية وهذا شيء جيد.

– لقد اكتشفت المفاجأة الأولى واعترفت بها.

– إنه يبدو أكثر لطفاً من "لاري"، قالت "لوريتا" وهي ترى "شندلر" من بعيد.

– كيف بدا لك هذا؟

– – إنني على كل حال، لا أريد أن أعمل لك رسماً حقيقياً له.

– إنني أفهم ذلك.

– وقبل قليل من وفاته، فإن "لاري" قد سحب من عينيك نضارتهما، وطمس على ضحكتك التي كانت تجلجل في الحقل.

– إنني أشعر بالذنب الكبير لأنني لم أعرف كيف أدخل السرور إلى قلبه...

قالت هذا وهي حزينة عليه، قاطعة قطعة من العشب اليابس من

الأرض بأطراف أصابعها التي يبدو الطلاء على أظافرها.

– أتعرفين: حقاً أن بعض الأشخاص يولدون والتعاسة مكتوبة على جباههم أي مقسومة لهم منذ بدء الخليقة.

– بلا شك فإن عندك الحق في هذا الكلام. ولي أن أفكر فيه دائماً.

– انظري إلى جدك فإنه المثل الحقيقي الذي أمامك، وهذا يكفي.

لم تستطع "جولييت" إخفاء سرورها هذا عندما رأت جدها جالساً إلى الطاولة نفسها مقابل الدكتور ويقترح عليه اللعب.

– علي كل الأحوال فإنه شخص من الأشخاص... همست بهذا.

– إذا كان يوجد شخص عنده الأسباب الكافية لكي ينسيك زوجك، فإنه بالفعل هو ذاته. سمحت "لوريتا" لنفسها بقول هذا.

– إنني أتذكر جيداً، أنه قد اعترف لي مرة، بأنه قد تحطم وتلاشى، ولكنه أبداً لم يفقد نشاطه. هذا جيد، أليس كذلك؟

– ولكن لماذا تفكرين في أنه موجود بالفعل، وأن "لاري" هو الوجه العكسي له؟

– إنني أظن بأن اختلافهما شخصي، على ما أعتقد.

– هذا جيد، مناقشتنا هذه– أكدت صديقتها وهي مرتاحة لهذا النقاش المثمر– تريني أن الشقراوات جميعهن ليست عقولهن في الهواء.

السيدتان الشابتان نظرتا إلى بعضهما وراحتا تضحكان. أمضيتا بعد ظهر هذا اليوم بأكمله وهما يتكلمان عن كل شيء وعن لا شيء.

أخبرتها "لوريتا" عن وجود شخص جديد في حياتها، ولكنها

امتنعت عن ذكر اسمه لها.

– دائماً أنا تعيسة الحظ في علاقاتي مع الرجال... إن تكلمت عنهم، فإنني أخاف، فإن هذا يجلب لي الحظ التعيس.

– وأظن أنه عازب، أليس كذلك؟

تذكرت "جولييت" أنها رأت في يوم من الأيام الجميلة الصافية، سائق سيارة شحن كبيرة، قد مر على "لوريتا" هو وأولاده الثلاثة، وزوجته كانت قد طلقت منذ فترة. ولقد انتهى بها الأمر إلى أن أجابت بأنه صديق العائلة ومروا عليها لكي تدلهم على الطريق الصحيح.

– لقد تعلمت تماماً، بأن الرجل الذي ينتهي به المطاف لخيانة زوجته معي فسوف ينتهي بي المطاف أيضاً لخيانته مع غيره.

اتبعت "جولييت" جميع السبل لكي تعرف هوية هذا الرجل الذي أخذ عقل صديقتها ولكن دون جدوى، وفي وقت العشاء والذي كان نهاية مطاف هذا النهار الجميل، لم تكن قد عرفت عنه أكثر من الذي عرفته أولا.

– إذن أخبريني بكل شيء عندما تريدين، اقترحت عليها "جولييت".

– سوف تكونين الأولى في معرفة هذا، وهذا وعد مني لك.

أخذت "جولييت" صحنا من الدجاج المشوي وتركته يسقط من يدها عندما بدأ "شندلر" يتبعها، ولهذا ركضت وراءه وحلفت بأن تضايقه هي أيضاً... وأمام جدها والتفتت بكل نشاط لكي تتبعه، فما رأت نفسها إلا أنها محصورة بينه وبين الطاولة الثقيلة.

– هل يا ترى شربت أم ماذا؟

– كلا يا سيدتي، أجابها مادا لها يده نحو أنفها بكأس من الكرتون لكي ترى أنه شراب عادي، لا أكثر ولا أقل.

– إنه من الليموناده! قالت هي بهذا.

– طبعاً...، قالها مؤكدا بضحكة قالت الكثير مما يعنيه. إنني أريد أن أحتفظ بكل قواي لهذا المساء.

أرخت "چولييت" ناظريها إلى الأسفل خجلاً، معترفة بأن هذا الحب الذي كان بادياً عليها اليوم وبكل صراحة وحرية، لم يكن غير هذا الحب الصحيح بالنسبة إليها على الأقل. وفي الوقت الحاضر فإنها ترى بوضوح كامل نفسها وأعماقها وسيكون "شندلر" بالنسبة إليها هو الرجل الصحيح، وسيعمل لها كل الخير.

الجميع جلسوا الآن إلى الطاولة وبدأوا تناول الطعام.

– إنني سوف أبدأ بتذوق السلطة التي صنعتها من ثمار "البندورة" التي زرعتها بيديك هاتين، طلب الدكتور هذا من السيدة الشابة والتي بدورها قدمتها له، والضحكة مرسومة على شفتيها من السعادة التي هي فيها.

– أتعرف– قال "بات" مقدماً فخذاً من الدجاج المشوي لـ"شندلر"– ما هما الشيئان الوحيدان اللذان لا يستطيع المال شراءهما؟

– إنني بالفعل لا أعرف ما هما، أجاب الآخر وهو منتظر أن يكون فخاً بالنسبة له.

ألقى الجد الكبير نظرة نحو هذا "الچيولوچي" ونظرة ثانية نحو ابنته الصغيرة، وكأنه يريد أن يبارك حبهما هذا. وأجاب:

– إنه الحب الحقيقي وثمار "البندورة" الطازجة والمزروعة عندك في الحديقة. بدأ كأس الليمونادة في الاهتزاز وهي توجهه نحوها لكي تحتسيه.

– إنها بالفعل المرة الأولى التي أسمع فيها هذا التعليق الجميل، علق على هذا الدكتور "ريبون" مازحاً.

لاحظ "شندلر" أن "چولييت" تحتسي كثيراً من الشراب أكثر مما تأكل من الطعام الموجود أمامها. في المرة القادمة، سوف يضع

في صحنه بيضا ناضجاً وسوف يتركه فيه بطريقة مختلفة.

– يجب عليك أن تكتسبي قليلاً من القوة.

السيدة الشابة التي كانت تعرف تماماً مغزى حديثه، ضحكت بسرور وهي تتحاشى النظر إليه.

– اعطني من فضلك قطعة من الدجاج، إذا أمكن.

إذا كانت تعتقد أنه يتركها لتأكل الدجاج بسلام، فقد أخطأت في هذا التفكير. وفي وسط العشاء، مدّ "شندلر" ركبته نحوها. وبأطراف أصابعه الطويلة أمسك بالمملحة ووضع منها على البطاطا التي كانت في صحنه، وكذلك وضع الملح على البطاطا التي قدمها لها.

في هذه الأثناء فإن "چولييت" لم تعد تشعر إلا بإشارات الحب التي يرسلها "شندلر" إليها بطريقة أو بأخرى.

إن الفرح والتدهور قد أنهكا قوى الجد "بات"؛ أشار الدكتور وقتها عليهما أن يعيداه إلى منزله ويساعداه على الخلود إلى النوم والراحة بعد هذا النهار الطويل والمضني. ولكي تشكره، قامت السيدة الشابة بإعطائه ما تبقى من الطعام اللذيذ، الذي صنعته بيديها.

– إن جدك قد بدا في أحسن حالة اليوم عن يوم وصولي عندكم، لاحظ "شندلر" هذا حين رجوعهما وقال ذلك لها.

– نعم، ولكني لا أعمل على خداعه بهذا، قالت ذلك "چولييت" وهي تمضي بجدها نحو حجرته.

إن الدكتور "ريبون" قد صارحهما بحقيقة واقع قلب هذا الرجل العجوز، وإنه، وبالنسبة لخبرته، فلن يحتمل طويلاً هذه النوبات الشديدة من السعال التي تنتابه بكثرة.

وشفقة عليها، أخذها "شندلر" بين ذراعيه، وأغرق رأسه في شلال شعرها المهدل.

– أجهشي بالبكاء، إذا كان يريحك، ياعزيزتي.

وتركت "چولييت" لوجنتيها الاتكاء على صدره، ولكن هذه الدموع كانت حريصة جداً على إخفائها وظلا على هذا الوضع لكثير من الوقت، وسط هذا السكون الليلي.

– إنني أدين لك بالاعتذار، تمتمت بهذا أخيراً.

– ولماذا؟ قالها وهو دهش.

– للشيء الذي قلته عندما صفعتك على خدك.

– ولكن ليس لهذه الصفعة التي تلقيتها؟

– كلا– قالت له ببساطة وهي ترفع رأسها نحوه لكي ترى نظرته المسلية هذه –إنك بالفعل تستحقها.

– أعتقد أنه نعم، وافق على هذا بضحكة حزينة.

كان الليل قد هبط عندما قررا الابتعاد وأخذا في طي الطاولة.

وأعادت "چولييت" الأغراض المتسخة إلى سلة النزهة ووضعها "شندلر" في صندوق "الشاندر بيرد". إن الألعاب النارية لن تبدأ قبل حلول الظلام الدامس، كما بدا على الجميع أنهم قد فعلوا مثلهم في وضع الأغراض في سياراتهم في انتظار الألعاب النارية. وهاهن الأمهات بدأن احتضان أولادهن للنوم من التعب المنهك لهذا النهار الجميل، والآباء يذكرون أولادهم معاونتهم بإعادة الأغراض إلى السيارات، بينما كان بعض من الشابات والشباب يختبئون هنا وهناك في الزوايا المظلمة لهذا الحفل البهيج.

– ألم تكوني ترغبين في الحصول على أطفال، عندما كنت متزوجة؟ سألها "شندلر" عندما رأى نظرة صبي صغير يرمي بها فتاة صغيرة مازحاً.

وقد تذكر أنه قد مر بهذه اللحظات وهو في مثل عمره.

– لقد تكلمنا في هذا الموضوع، اعترفت "چولييت" وهي تنتبه لهيئة رجل جالس على شرشف إلى جانب صديقتها "لوريتا".

وكان يهيأ لها أنها تعرفه، ولكنها لا تستطيع التعرف إلى وجهه في هذا الظلام الدامس، وفي قلبها وبهدوء تام تمنت كل الخير لصديقتها ورفيقها.

– ولكن ... أصر "شندلر" مادا ذراعه نحو ظهر صديقته.

– إننا لم نذهب أبعد من هذا الحديث قط.

كانت ترغب جيداً في أن تدفع لهذا العالم بطفل، ولكن كيف مع هذا الزواج الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة؟

– أبداً! قالها بجرأة وهو يحاول أن يمد بهذا الشعور الذي آلت إليه بدون إرادتها والذي هو السبب في التطاول عليها. هذه الضحكة الصغيرة التي أجابت بها عن سؤاله، أثبتت له أنه قد نجح في التودد إليها.

– إنك ترى جيداً ماذا أريد أن أقول.

ومن بعيد جاء إلى مسامعهما صوت آلة "الكمنجة" الموسيقية، وتبعها صوت "الچيتار" وهما يعزفان معزوفة (Le old george Gans) والتي كانت تعني لهما الكثير، وبعدها جاءت معزوفة (Le Red River valley).

ويد "شندلر" كانت ممدودة بكل حنان على كتف "چولييت". بدأ "شندلر" يردد الغناء معهم. وبعدها اشتركت السيدة الشابة بصوتها.

"اجلس إلى جانبي إذا كنت تحبني
لا تتعجل أن تقول لي الوداع،
ولكن تذكر جيداً وادي النهر الأحمر.
وهذه الفتاة التي طالما أحبتك".

وهي محتارة بين السعادة والتعاسة، رفعت "چولييت" بناظريها نحو "شندلر" وأمعنت النظر إلى وجهه الذي كانت تتراقص عليه ظلال شجر السنديان. وبدأت فك لغز هذه الرغبة الموجودة في

نظرته ثم اقتربت منه. وفي هذه الأثناء فهمت تماماً أنها لا تستطيع أن تتركه يرحل عن قرية "ريدمبشيون" بدون أن يثبت لها إلى أية درجة يحبها.

– فلنرجع إلى المنزل....

خرجت هذه العبارة منهما هما الاثنان، وهذا يعني القليل، إذ كان عندهما هذا الشعور الواحد بالرغبة في العودة.

وفي ذراع الواحد بالآخر، اتجها نحو السيارة، وقلباهما آخذان في الخفقان في إيقاع واحد معاً.

– هل تعلمين أنني سوف أغادر هذه المدينة حين انتهائي من حفر هذه البئر؟

تعثرت الكلمات في حلق "چولييت"، وكانت تعرف تماماً أن إبقاءه إلى جانبها كان مثل قطع الهواء والتنفس عنها.

– ومتى سوف تنتهي منها؟

– في بضعة أيام، أسبوع على الأكثر، اعترف بهذا بكل صدق وصراحة مقتنعاً تماماً بأن الجواب سوف يدعها تهرب منه.

– إذن فلننتهز كل ما تبقى من وقت لدينا، قالت "چولييت" هذا وهي متأكدة تماماً، من اختيارها.

الفصل التاسع

عندما وصل "چولييت" و"شندلر" إلى المنزل كان الجد "بات" عارقا في نوم عميق والكلب "تو" إلى جانبه.

وحين اقترابهما من المنزل، رفع الكلب أذنا واحدة وحرك ذنبه في إشارة لملاقاتهما. وعلى أطراف أصابعهما اجتازا غرفة الطعام ليلقيا نظرة على الرجل العجوز، وبعدها تابعا سيرهما بهدوء تام أطفأ "شندلر" ضوء التراس وضوء المدخل ولم يتبق سوى ضوء القمر الصافي الآتي من خلال النوافذ سابحاً في ظلام دامس، وبعصبية هادئة نشفت "چولييت" يديها المنديتين بأطراف فستانها. وكان يجب عليها أن تقول شيئا ما لكي تثبت رغبتها الحقيقية الآن، وقالت: « تريد الذهاب إلى غرفة نومي أم إلى غرفتك؟». ولكن هذه الكلمة كانت كالكرة القطنية في حنجرتها.

كان "شندلر" على حق بأن الخطوة الأولى كانت مهمة جداً بالنسبة إليها لتأخذها أولاً من طرفها، ولقد ساعدها هو أيضاً على اجتيازها. وحمل بين ذراعيه أرملته ذات القلب الذي يسير نحو الشفاء، وهمس في أذنها قائلاً:

– لنصعد أولاً....

وكان "شندلر" مسروراً جداً لدرجة أنه أخذ على عاتقه ضيفته، و"چولييت" هي أيضاً مدت يديها نحو رقبته وتنفست الصعداء وهي تقرب فمها من شعره الأسود وقالت:

– أنا متأسفة جدا.... كان يجب علينا هذا منذ زمن طويل...

وبينما كانا يصعدان سلم الدرج المظلم، رفعت "چولييت" رأسها لكي تلاقي عينيه شديدتي الخضرة اللتين تنيران لهما طريقهما هذا.

– منذ كم من الوقت مضى على هذا بالنسبة إليك؟

– وهل ياترى هذا من الأهمية الكبرى بالنسبة إليك؟

– نعم وكلا.

تذكر "شندلر" للتو النساء اللاتي عرفهن قبلها، واللاتي كن لا ينتظرن شيئاً منه ولا حتى كلمة صدق. ولكن التي بين ذراعيه الآن تستحق أكثر من هذا بكثير.

– لم أعرف أحداً منذ أن التقيت بك.

عضت "چولييت" على شفتيها بطريقة عصبية، وكانت طمأنينة النفس تندمج مع الغيرة العميقة من اللاتي عرفهن قبلها.

– بالنسبة إلي، إن هذا الوضع قد مر عليه ثلاثة أعوام، اعترفت له بهذا. كان "الجيولوچي" يرغب في إظهار سعادته لأنها لم تسمح لأحد بأن يقترب منها منذ وفاة زوجها. وعلى كل حال فإن هذا الاعتراف قد أمده بالسعادة.

– عندي إحساس جيد بأنه يجب علينا أن نعوض الوقت الذي ضاع منا.

– إنني أريد العودة إلى غرفتي، فجأة قالت له:

– ولماذا؟

– كان عندك الحق منذ البداية– اعترفت بهذا رافعة رأسها ليرى دموعها المنهمرة– إنني لا أستطيع التخلص حتى الآن من ذكرياتي المؤلمة.

شعر بالانزعاج الذي أصاب السيدة الشابة وأحس به وكأنه هو المنزعج تماماً، وترك "شندلر" يدها ليضمها نحوه بشدة.

– "چولييت"، "چولييت"، أرجوك ألا تبكي.

وشهيق من البكاء ظهر منها بالرغم عنها.

– كنت أظن أنني أستطيع أن أتقبل حبك هذا، وبعدها رحيلك عني، ولكني رأيت أن هذا هو المستحيل بذاته.

أحس "الجيولوچي" برعشتها وهي ملاصقة له وأغمض عينيها،

ووعدها بكل جوارحه:

– سوف أعود إليك بعد شهر، أو ستة أسابيع على الأكثر.

– وسوف تعود للذهاب من جديد.

– هذه هي حياتي.

تخلصت "چولييت" بكل حرارة من ضمته هذه.

– وماذا تريد مني أن أفعل بينما أنت تجتاز كل مدينة "أوكلاهوما" من جميع جهاتها شرقاً وغرباً بحرية تامة؟

– إذا كنت تشعرين بالمضايقه لهذه الدرجة عندما أكون بعيداً عنك، فلماذا لا نتزوج إذن قبل رحيلي؟

– نحن... نتزوج؟

– نعم. إنني أريد الزواج بك، يا "چولييت".

وهي تدفعه عنها بطريقة عصبية، صرخت:

– وماذا تريد من هذه المساومة ياترى؟

– هذا الذي يستطيع رجل أن يقدمه إلى المرأة التي أحبها. وظل الواحد قرب الآخر حتى إن رأس "شندلر" شكل ظلاً على وجه "چولييت" والتي أحس بأنفاسها المتسارعة والحارة. كان يعرف تماماً أن هذا العمل لن يدوم إلا بضع ثوان، وأن عنصر المفاجأة سوف يعيده إلى واقعه.

أما من جهتها فإنها لم تكن متأكدة من أنها تستطيع أن تتكلم بأية كلمة. كانت تحبه جداً ولا شك في هذا. وكانت تكذب لو أنها لم تتجرأ بقبول هذا العرض للزواج. ولكنها كانت تتصور المستقبل وأنها لا تستطيع تحمل فكرة الوداع.

– إن هذا لا يهمني أبداً بأن أكون متزوجة لنصف الوقت فقط، ولا أقول لزوجي في يوم صباح الخير وفي اليوم التالي إلى اللقاء.

– إن العمل الذي أقوم به الآن في مكتبي، أستطيع أن أقوم به منذ الآن في المنزل– علق على هذا– إذن سوف أكون أغلب

الأوقات في المنزل.

– على الأقل نصف الوقت، أليس كذلك؟

– إذن فلننتهز هذه الفرصة من الوقت.

وهي في الممر متجهة نحو غرفتها، أدارت نفسها نحوه وقالت:

– إنني أحبك "شندلر"، ولكنني لا أستطيع أن أتصور نفسي أخرب زواجي الثاني كما أخفقت أيضاً في زواجي الأول.

– أرجو أن تكوني عاقلة، "چولييت" يتوسل إليها بقوله هذا وهو يتبعها حتى غرفتها ورغبة عارمة انتابته لكي يتشاجر معها، في سبيل الاحتفاظ بها. إنني لا أتصور– وأكثر منك أيضاً – فترة الوداع وكلمته، ولكن هذا سوف يخلق لقاءات كثيرة وجديدة وستكون أكثر جمالاً وحباً وشوقاً من هذه.

وليس أكثر من ثوان، أكملت السيدة الشابة ودخلت بسرعة غرفتها وأضاءت المصباح فيها. والتفتت نحوه وقالت:

– وإذا حصل هنا أي طارئ وكنت وقتها في حاجة ماسة إليك، فماذا أفعل؟

– إنني لن أكون إلا على بعد نهار واحد فقط بالسيارة.

– إنه من الطبيعي أن يحصل الكثير من الأشياء، في مسافة هذا النهار.

– إذن، سوف أشتري طائرة.

– وهل ياترى هذا الشخص الذي أعطاني العشرين ألف دولار ومازال يمنيني بها هو ذاته الموجود أمامي الآن؟ سألت نفسها هذا السؤال وهي تبحث عن روب لها في خزانتها.

– وماذا يعني هذا؟ رمى بهذه العبارة، ببرودة كاملة.

التفتت "چولييت" نحوه لترى لمسة حزن وغضب على وجهه.

– ماذا تريد أن تقول؟ قالتها بخجل.

– هذا؟ أجابها وأصابعه تشير إلى بنطلونات وقمصان "لاري"

الموجودة في الخزانة وتحت أنفه.

أحست "چولييت" وقتها وكان قدميها لم تعودا تستطيعان حملها. وكانت هذه الملابس موجودة هنا منذ زمن طويل.

– وأنا الذي كنت أظن أن "لاري" هو الذي كان يخجل من خزانتك، علق على هذا بكبرياء.

– لقد نسيت نهائياً أنه كان.....

– ويوجد عندك أيضاً قميص لكل يوم من أيام الأسبوع.

– إن جدي هو أيضاً قد احتفظ بأغراض جدتي....

– نعم، ولكنه احتفظ بها في صندوق، في سقيفة المنزل. وليس في خزانة غرفته.

– أرجو "شندلر"، اترك لي الفرصة لشرح هذا.

– إن تصرفاتك تشرح كل هذا الوضع، "چولييت".

– إنني أظل مستيقظة كل ليلة منذ أن توفي، وأنا خجول بسؤال نفسي ماذا فعلت معه حتى إنه ظل يائساً إلى....

وبدون أن يسمح لها بإكمال حديثها، التفت "شندلر" وتجاوز غرفتها متجها نحو غرفته.

– إنني أحبك، رمت له بهذه الكلمات، وبكل وضوح هذه المرة.

وقف وقتها على باب الغرفة ورمى نحوها ومن فوق كتفيه بنظرة مليئة بالحزن. وقال:

– إن ثمن الحب هو نسيان الماضي تماماً.

*****

بعد هذا الحديث، تراءت الأشياء بسرعة فائقة عندما استيقظت "چولييت" في المساء ووجدت جدها "بات" مازال متمدداً، وقدماه متورمتان جداً بشكل لم يعد باستطاعته وضعهما في

حذائه المنزلي.

– كيف كان يتنفس؟ سألها الدكتور. بعدما بعثت إليه ليرى جدها وهو في هذه الحالة.

– بكل صعوبة، أوضحت له هذه الكلمات.

– هل ياترى قد أعطيته علاجه كاملاً؟

– ومنذ أن استيقظ.

– سوف أعود لفحصه مجدداً عندما أرجع من عملي مساءً، أكد لها هذا. وفي هذه الأثناء، أرجو أن يظل نائماً.

وطوال هذا الوقت ظل جدها بدون أن يكثر في الكلام وخاصة عندما تناول فطوره، فوقتها أدركت أنه ليس على ما يرام ولكن عندما طلب منها إخبارها عن الجديد عن "شندلر"، فقد فهمت تماماً أنه قد سمعه حين غادر في منتصف الليل.

وفي الواقع إن "الچيولوچي" لم يخبط الباب بشدة وراءه، ولم تكن مغادرته للمنزل إلا بكل هدوء وحذر، إن عمل الضجة في المنزل، كان هذا من اختصاص "چولييت" فقط لأن هذا كان من طبيعتها تماماً. وعندما تغضب كانت تقدر على الصراخ وتخبيط الأبواب أيضاً وما إلى ذلك من الضجيج. ولكن الهدوء كان..... كان الهدوء بالنسبة لها مميتاً.

إن "لاري" كان الشكل المثالي للسكون. وعندما تزوجته كانت تعتبر هذه الصفة وكأنها صفة من قوة الشخصية. إن هذا اليوم فقط، وبعد ثلاثة أعوام من دفنه تحت التراب، فهمت تماماً؛ أن الصمت يمكن أن يؤدي إلى الموت.

لم يكن يعبر أبداً عن إحساسه الداخلي. وحتى عندما يتضايق منها وبالأخص في الأيام الأولى لزواجهما، وكانت "چولييت" في كثير من الأحيان ولكي تحاول جره إلى الكلام تبدأ بكلمة "أحبك". وعندما بدأت ديونهما تتراكم عليهما بدأت الهوة

بينهما تزداد اتساعا، وبدأت هي بعدم مشاركتهما في تناول وجبة العشاء، جالسة بمفردها في غرفة الصالون متأملة في نقطة ما غير مرئية. وعندما كانت تنام إلى جانبه، كان يدير لها ظهره.

كانت "چولييت" تتوسل إليه دائماً بأن يكلمها أو حتى يذهبا معاً إلى أحد الاستشاريين لكي يجد حلاً لوضعهما غير الطبيعي هذا. ولكنها لم تكن تجرؤ على التأكد من أن الذي كان يربط لسانه عن الكلام هو هذه الكبرياء التي يتمتع بها أغلبية الرجال في هذا الكون. و"لاري" كان لا يحاول أن يفهم أن الخجل ليس في وجود المشاكل العائلية ولكن هو في ألا يعمل أي شيء ليحل به هذه المشاكل. وحتى جدها، الذي لم يكن يريد التدخل بينهما، والذي حاول مراراً أن يشرح لـ"لاري" أن مشاكل المزرعة لم تكن أبداً من غلطته ولكن هذا الأخير قد صم أذنيه عن سماع هذا على الإطلاق.

وبعدها جاء هذا اليوم المشؤوم الذي وصلت فيه الرسالة التي أعلنت فيها عن إفلاس الشركة تماماً، كان "لاري" هو الذي وجدها بنفسه في علبة صندوق البريد ولم تعرف "چولييت" أبداً ماذا حصل له حين قراءتها، ولكنها الآن قد عرفت تماماً أنها كانت الضربة القاضية الموجهة إلى وجوده الهش. كانت السيدة الشابة ترغب في مواصلة عملها حتى وقت متأخر من هذا المساء. والتي لم تكن تستطيع أن تعبر عن إحساسها ذاته، وخاصة بعد اكتشافها زوجها مشنوقاً، ورصاصة موضوعة في صدغه ببندقية الصيد ويده مطبقة عليها. وقتها لم تكن تشعر بالذنب عن غلطة كهذه، ولكنها اليوم فقط، قد عرفت تماماً أنها لم تستطع فهمه أبداً، وما إذا كان "لاري" قد أحبها جداً، هل ياترى كان سينغلق على نفسه مثلما كان قد فعل؟

لم تعثر "چولييت" أبداً على جواب عن أسئلتها هذه، ولكنها

كانت تعرف تماماً أن "شندلر" كان عنده كامل الحق. إن الثمن الذي يجب عليها أن تدفعه الآن هو النسيان الكامل للماضي المضني، ووقتها فقط تستطيع أن ترى المستقبل المشرق بنظرة متفائلة.

– بمن تتصلين؟ سألها "بات" وهو يتناول فطوره.

– إنني أتصل بالدكتور "ريبون". إنه سوف يصل في غضون دقائق فقط.

– هل ياترى سيكون عنده الوقت للعب بورق الشدة؟

– ألا تمل أبداً من هذه اللعبة؟ أليس كذلك؟ سألته بصوت مملٍ وهي تهمّ بالجلوس إلى جانبه.

– لماذا إذن أحفر هذه البئر، إذا كنت لا أؤمن بالمستقبل أمامي؟ رد عليها وضحكة رسمها على وجهه بدت فيها تجاعيد وجهه كاملة.

– هذا هو الصحيح بعينه...، قالت "چولييت" هذا وهي تنظر من النافذة نحو العمال الذين يحفرون بجد أرض العمل. ولكنها وهي على هذه المسافة فإنها لا تستطيع تمييز "شندلر" من هؤلاء العمال.

– هل تعرفين كيف تستطيعين التمييز بين شخص يعرف لعب الورق جيداً وآخر لا؟ تعرفينه بسروره إذا خسر، وبالتحدي الذي يعيد فيه مرة ثانية.... ولكن الذي يلعب الأسوأ، هو الذي يذهب ثائراً ويريد أن يصب جام ثاره وغضبه على شخص آخر يلقاه أمامه.

تذكرت "چولييت" لتوها، أن في ليلة ما، جاء فيها "لاري" إليها وأخذ يلقي جام غضبه عليها، لأن جدها وقتها قد كسب هذه "الجولة" من لعبة ورق الشدة، ورفض وقتها أن يلعب دورا آخر.

– إن متعة اللعب مع رجل خاسرٍ أجمل مائة مرة.. أكمل جدها هذا وهو يحتسي فنجاناً من القهوة.

– يجب عليك أن تأكل أكثر وتتكلم أقل من هذا، ياجدي العزيز، قالت ذلك وهي تشجعه على الحياة بحنان بالغ.

كان كلما مرَّ الوقت أكثر أحست "چولييت" بمرارة فكرة أنها أخذت على عاتقها كل هذه السنين مسؤولية وفاة زوجها كاملة. وفي الحقيقة أنه هو وبمفرده الذي اختار هذا الطريق.

حاول الجد "بات" انهاء بقية طعامه من السندويتشات الصباحية، ووضعها جانباً وقال:

– تعرفين ياصغيرتي، أنني لست جائعاً أبداً.

رفعت "چولييت" صينية الأكل من على ركبتيه وبحنان طبعت على وجنتيه قبلتين وقالت:

– أرجو أن تخلد إلى الراحة قليلاً قبل مجيء الطبيب.

كالآلة السريعة، رتبت كل شيء في المطبخ، ولكن كان عقلها شارداً على الأغلب في ناحية غرفة النوم، عندما طلب منها الچيولوچي الزواج قبل أن يكتشف ملابس زوجها "لاري" التي مازالت حتى الآن في خزانتها. وتابعت لو أنه طلب منها فرصة، أن تترك الحياة هنا في المزرعة، وتذهب للعيش معه حيثما يوجد. والأسوأ من هذا، هو أنها تكتشف عنده أشياء تابعة لامرأة أخرى في شقته.....

إن الضجيج الكبير الآتي من الحفار قد شدها من شرودها إلى موقع التراس لكي ترى السبب، وبنظرة مليئة بالقلق، حاولت العثور على "شندلر" دون جدوى. إن الانفعال البارد الذي بدا عليه حين مغادرته لها، قد رجع الآن إلى ذهنها. لقد قدم لها أحسن ما عنده، وهي بالمقابل لم تقدم له إلا المشاكل العالقة.

وهل يا ترى سيأتي هذا اليوم الذي سوف يغفر لها تصرفها

الأناني هذا.

وشيء في الهواء جاء ليثير أعصابها وينبهها لواقعها ولكن لم تعره أي انتباه. عندما يأتي الدكتور "ريبون" لكي يفحص جدها كما وعدها فإنها سوف تذهب إلى موقع العمل وتشرح لـ"شندلر" كل ظروفها وأوضاعها كاملة. وسوف تقول له إنها تحبه بشدة الأمر الذي سوف يعينها على فراقه وانتظار عودته بفارغ الصبر.....

وفجأة، هزة ما دوت وكانها ضربت الأرض من الأعماق بينما صفارة الإنذار أتت إلى كل المسامع، والتي طغت على صوت الحفار. كانت هذه الهزة آتية من جهة البئر نفسها. التفتت "چولييت" بحرارة نحو هذا الاتجاه وفزعت من الخوف عندما رأت بعينيها، يد الحفار تتأرجح في الهواء الطلق وكانها زرافة مختلة التوازن.

«آه يا إلهي، لا ليس هذا». صرخت بهدوء وهي ترى العمال يقفزون في أرض الحفر هنا وهناك وفكرت وقتها في أنه لو حصل أي مكروه لـ"شندلر" فلن تسامح نفسها أبداً، وسوف تحفر لنفسها أيضاً قبراً وإلى جانبه.

واعتقدت أنها لم ترهذا الجسم المتناسق "للچيولوچي" عندما بدأت التمعن في العمال الهاربين هنا وهناك. وبدون أن تفكر ولو للحظة، متحدية كل المخاطر التي سوف تقابلها، قفزت إلى أسفل التراس، والقلق ينتابها من جميع جهاته، وركضت بسرعة هائلة نحو حقل الشعير الموجود هناك.

وبجنونها هذا، لم تكن لتسمع سعال جدها الشديد الآتي من غرفة الطعام. ولا أن ترى سيارة الدكتور التي كانت تصعد الطريق الحجري الموجود أمام المنزل فكل قواها وتفكيرها، لم تكن مركزة سوى على اتجاه واحد وهو هدف: العثور على "شندلر".

– اللعنة على هذا الانفجار! هتف شخص ما من وسط الحشد

الكبير.

– اهربوا! صرخ آخر بينما كانت الأرض الموجودة حول البئر تهتز بشدة مثل القطة الخائفة من الفزع.

– يا إلهي، إنني أرجوك! أعادت "چولييت" هذا وأنفها وعيناها تحترقان من الجو المسموم الذي كان سائداً وقتها.

وأتوسل إليك بألا تأخذه مني!

إن صلواتها استجيبت من الله عندما دخلت بين هذا الحشد الهائل من البشر، وعندما رآها "شندلر" أسرع نحوها لملاقاتها، وأوقعها أرضاً، وبكل قواه الجسدية المليئة بالرطوبة من هذا الجو، غطى جسدها بالكامل بجسده خوفاً عليها. "چولييت" مدت يديها حول رقبته والتصقت به. في هذه الأثناء كان هدير الأنابيب الكثيرة يدوي في الفضاء مما أثار الذعر الشديد في النفوس. ومن شدة قوة هذا الانفجار، أخذت الأرض في الاهتزاز بينما كان التراب المختلط بالوحل يندفع من البئر، رامياً في الهواء أنابيب الحفر الكبيرة في جميع الاتجاهات متمدداً، ومخبئا رأسه بين يديه، ظل "شندلر" مغروساً في الأرض، والسيدة الشابة تصرخ مذعورة من الخوف وهي تحت جسده بالكامل. وكانت الأحجار والقطع المتناثرة من جميع الأشكال والأنواع تتساقط مباشرة نحوهما. ولكي يستطيع أن يهدئ من روعها وفزعها اللذين أصاباها، أبقاها مباشرة تحته لحين انتهاء هذا الفصل المزعج وهذا الضجيج الجهنمي الذي سوف يترك فاصلاً بينه وبين الانفجار العنيف.... والذي كان ينبئ عن ماء مرشح خالص.

لا أحد منهما قد لاحظ أنهما لم يعثرا على البترول. ولم تكن أعينهما إلا في اتجاه أحدهما مع الآخر.

– أيتها الصغيرة المجنونة! صرخ عليها "شندلر" بهذا. ماذا دهاك لتركضي بهذه السرعة نحو أرض العمل هذه؟ لقد أصبت بذعر

مروع! إثر رؤيتك.

– إنني اعتقدت أنك....، تعثرت بهذه الكلمات وهي تضع يدها على وجهه بأصابع مرتجفة. معتقدة أنها في حلم مزعج وقالت. آه! شكراً جزيلاً ياإلهي الكريم....

– ألم تريني أعطي إشارة بيدي لكي ترجعي أدراجك؟

هزت "چولييت" رأسها بالنفي وأكملت في لمس جبينه، وأجفانه، وفمه، وكأنها تريد أن تثبت لنفسها أنه كان على قيد الحياة.

– كان من الممكن أن تقتلي نفسك بتصرفك هذا!

– وأنت أيضاً....

عيناه الخضراوان الجميلتان عكستا أيضاً الخوف الذي واجههما معاً والذي قد نجوا منه أيضاً معاً. إن جسميهما المندمجين معاً بدوا وكأنهما قد اندمجا معاً في حادثة غير واقعية.

– "چولييت"....

– "شندلر"....

وبدا فمه وكأنه يغرق في فمها والسيدة الشابة أجابته بشعور بالغ من السعادة المتناهية، إن عمال الحقل قد بدأوا في الركض نحو البئر، والرائحة الكريهة كانت قد عبقت، الأجواء كلها.

وطعم مالح كان يختلط مع قبلاتهما والرطوبة الشديدة التي أصابت ملابسهما. و"چولييت" كانت قد نسيت كل شيء في هذه اللحظات، وحتى الأحجار التي كانت تصطدم بظهرها.

– وفجأة، رن جرس الترام الذي كان يدق بجنون، والذي أدى إلى رفع رأسيهما ورجوعهما إلى واقع الحياة. وبكل قواه ناداهما الدكتور أخيراً.

– آه إنه جدي، صرخت "چولييت" بهذا أخيراً، وقلبها يعتصر من الألم والخوف.

وقف "الچيولوچي" فجأة وأخذ بذراعيها وتوجها معا إلى داخل المنزل.

– فلنذهب معاً إذن!

دقيقتان فقط مرتا على الانفجار الذي حدث ولم يعودا إلى التفكير في شيء سوى الاتجاه إلى المنزل لرؤية هذا الجد الكبير. كلاهما اتجه نحوه بسرعة متناهية وكانت "چولييت" تتعثر في حقل الشعير فيلتقطها "شندلر" في كل مرة وبرفق. ولكن في قرارهما لم يكن يسود سوى تخوفهما مما سوف يجدانه هناك حين وصولهما إلى المنزل.

فتح الدكتور "ريبون" لهما الباب حين وصولهما.

– أين جدي؟ سألته السيدة الشابة وهي تركض بسرعة جنونية نحو الداخل مخلفة بـ"شندلر" وراءها.

بدا الدكتور متضايقاً جداً عندما توجهوا جميعاً نحو غرفة الطعام.

– وهل مات جدي؟ قالت "چولييت"، رامية بنفسها عليه.

– إذا كنت ترغبين في أخذه إلى المستشفى، فسوف أنقله معكما، أعطى "شندلر" رأيه هذا. هزت السيدة الشابة رأسها بالنفي متذكرة الوعد الذي قطعته على نفسها أمامه.

– إنه يرغب في الخلود الأبدي هنا في منزله.

العينان مغمضتان، والرجل العجوز رام بنفسه بهدوء وسكينة على أريكته الخاصة، والراحة الأبدية ظاهرة عليه. والدموع تملأ نظرات "چولييت" التي بدورها جثت إلى جانبه لمواساته، وأمسكت بيديها المبللتين أصابعه لكي تفركها.

– "چولييت"! أجابها بهمسة حنان وهو يفتح عينيه قليلاً ليقول. أين..... أين "شندلر"؟

– إنه هنا يا جدي.

اقترب الچيولوچي منه بحيث استطاع أن يرى جسده الفذ.

– هل وصلنا إلى البترول؟ ساله "بات" بصوت أجش.

– كلا. لقد كان هذا التدفق.... هو تدفق ماءٍ صافٍ مرشح.

بدا الشحوب يظهر على شفتيه، وبسمة صغيرة، بهدوء وسكينة واطمئنان.

– قليلاً من الماء.

وصرخة عميقة تبعها شهيق حاد تعثر في حلق "چولييت" عندما شعرت بيديه تنسحبان من بين يديها، قد فهمت أنه قد فارقها إلى الأبد، تاركاً وراءه أحزانه وحياته التي عاشها.

راغبة في لفظ اسمه للمرة الأخيرة، رمت بنفسها فوقه لكي تقبله قبلة الوداع.

– الوداع، أيها الجد العزيز.....

لم يستطع "شندلر" النبس بأية كلمة وكان ينظر إلى هذا الرجل "بات" القوي الذي مازالت قواه موجودة في المرأة التي أحبها. قدم وداعاً أخيراً بهدوء بالغ وصمت ساكن لهذا الرجل الشجاع، الذي أعجب به في قرارة نفسه.

وبينما كان الدكتور يطلب رقم مصلحة دفن الموتى، ظل الاثنان واقفين إلى جانبه، اليد في يد الآخر، إلى جانب الذي صعدت روحه للتو، وبعدها قاما بمساعدة "چولييت" على إلباس الجد هذا الطقم من المخمل الأزرق الخاص به.

تسارع هذا النبأ في الوصول إلى جميع أنحاء هذه القرية الصغيرة، وبدأت الوفود في الوصول لإلقاء النظرة الأخيرة على المتوفى. وعند حلول الظلام غادر الدكتور المنزل حيث رافقه "شندلر" حتى الباب، وبعدها التقى بـ"چولييت"، التي كانت جالسة وحيدة بالقرب من جدها وإلى قربها الكلب الوفي "تو".

– إن الحيوانات أيضاً تشعر بالحزن لفقد ما هو عزيز عليها، قالت

هذا، بدا "شندلر" يعزيها ويهدئ من روعها حتى إنها أجهشت ببكاء متواصل، وتوجه بها إلى الطابق الأول، وأحاط بحبه وعطفه السيدة التي تخلصت أخيراً من ماضيها الثقيل.

*****

كانت المنظمة التابعة لمدينة "ريدمپثيون" تغني وبصوت واحد محتفلة باجتماع الجد "بات ديون" مع زوجته العزيزة "روث".

كان الرجل العجوز قد تخلص الآن فقط من كل متاعبه الصحية والنفسية والجسدية التي ألمت به طوال فترة حياته، تاركاً وراءه ثروة لا تقدر بثمن.

بقي "شندلر" واقفاً إلى جانب "چولييت" طوال فترة العزاء، في المقبرة الصغيرة الخضراء، ويده محيطة بكتفيها وقلبه إلى جانب قلبها. وكان قد أوكل العامل الذي عنده ويدعى "تكس" لكي يغلق البئر ويوقف العمل في الحفر الآن. هذا الرجل الكبير الذي كان جديراً بالاحترام من الجميع وكأنه رئيس المدينة بأكملها، ذهب وإلى الأبد تاركاً وراءه الوقت الكافي لهذا الچيولوچي للاعتناء بحفيدته "چولييت" وهذا الوضع كان من الأهمية، للرجل الذي كان يعتزم الذهاب إلى شهر العسل في الشهر القادم.

وبينما كانت الموسيقى تعزف اللحن المفضل لجدها العزيز، أرخت "چولييت" رأسها، وأحست بذراعي "شندلر" تحيطان بها من كل جانب لتضماها نحوه. وبهدوء تام شكرته على وجوده الدائم إلى جانبها والطمأنينة التي حصلت عليها منذ الانفجار الذي حصل في الحقل.

والآن أصبحت "چولييت" تترك لشعرها العنان ليلاً ونهاراً، لكي تبرهن لنفسها نصرها على هذا الماضي المضني الذي كان يقيدها بقيوده، أكثر من أن تلفت نظر هذا الرجل الذي حررها من هذه

القيود.

وبدأ الأصدقاء الذين حضروا الجنازة، يمرون أمامها ليقدموا لها عزاءهم الحار لفقد هذا الرجل الطيب، وكان الدكتور "ريبون" الأخير في هذا. ولم تعرف "چولييت" كيف تشكره على كل هذا الاعتناء بجدها العزيز. وبادرها هو بالقول:

– هل تعرفين أن "بات" كان محظوظاً جداً لوجودكِ إلى جانبه ليلاً ونهاراً؟

– ليس أكثر من وجوده هو إلى جانبي عندما مات والداي في حادثة. أكدت له هذا.

– كان جدك يعزك من كثرة حبه لك.

– وكان هذا متبادلاً أيضاً.

وقدم أيضاً لمواساتها العمال الذين يعملون بالحقل، والمزارعون ورئيس البلدية والقس "چيسي چيمس" وأخيراً كانت صديقتها "لوريتا" وبرفقتها "سيمپ كريد". بذلت "چولييت" جهداً كبيراً للتعرف إليها، وهي في هذاالوضع الحزين جداً الذي ترتدي فيه السواد الكامل مع هذا الشعر المشدود إلى الوراء بشينيون معقوص، وكان شعرها ذهبياً. وحتى مكياجها ظل متميزاً.

– منذ متى وأنت مع "سيمپ ....؟ علقت السيدة الشابة بهذا.

– منذ أن رقصنا معاً ليلة الحفل الراقص الكبير.

– هل كان هو ذاته الذي رأيتك معه في يوم الرابع من شهر تموز (يوليو) ؟

– بالضبط، أكدت لها "لوريتا" هذا بضحكة متواطئة، وبدون أن تظهر لها رغبتها بأن تريها بحذر خاتم خطوبتها.

وقفت "چولييت" و"شندلر" قليلاً وحدهما، عندما فارقهما كل أصدقائهما، لقد رغبا في إلقاء النظرة الأخيرة، ونظرة الوداع لهذا

الرجل العجوز وحدهما.

ومن أحد أكاليل الورد الموجودة، أخذت السيدة الشابة منها وردة حمراء ووضعتها على التابوت، بينما كان الچيولوچي قد جلب معه حفنة من التراب الأحمر الذي استخرجه من البئر ورماها أيضاً فوق التابوت، هذا كان تعبيراً عن مدى حبهما واحترامهما لهذا الرجل، وبهدوء تام وقفا لجلال واحترام هذا الموقف متمنيين الراحة الأبدية لهذا المتوفى.

– كان يحبكِ كثيراً.... همس "شندلر" واضعاً رأسه بحنان فوق رأسها.

– إنني أعتقد أنه هو أيضاً كان يحبك أكثر، أكدت له ذلك وعيناها مليئتان بالدموع وقبل أن تخبئ وجهها بين كتفيه لكيلا يراها.

وأحاطها بحنان وعطف ورعاية، بكل قواه الصوتية والجسدية لكي يهدئ ولو قليلاً من روعها. وكان لديه الإحساس بأن هذه الجنازة قد أثرت فيه أكثر منها، وكان يحبس دموعه من الانهيار أمامها.

– هل أصبحت في وضع أحسن الآن؟ سألها بهذا عندما رآها ترفع رأسها عنه.

واعتذرت "چولييت" بهدوء.

– إذن، فلنعد إلى المنزل.

– يجب علي أن أقوم بعمل واحد فقط، قبل أن أرجع إلى المنزل.

– وهل تريدين أن أرافقك؟

– كلا. يجب علي إنجازه منفردة.

وعندما هبت نسمة من الهواء رفعت عنها قليلاً فستانها الأسود ليظهر جمال ساقيها، توجهت "چولييت" نحو قبر زوجها

"لاري".

هناك، جثت على ركبتيها فوق العشب الأخضر، ورفعت من يدها اليمنى خاتم زواجها الذهبي ووضعته فوق حجر القبر. وبعدها وقفت وأدارت ظهرها إلى الآلام والذنوب التي تاثرت بها طوال هذه الأيام، ووقتها فهمت "چولييت" أنه قد حان الوقت لكي تبدأ حياتها من جديد.

وتوجهت نحو "شندلر" ووضعت يده في يدها، وتوجها معاً مخترقين الممر الحجري للمقبرة. إنهما لم يعثرا على الذهب الأسود ولكن، بفضل احترامهما لهذا الجد الكبير، فقد عثرا على ما هو أهم من هذا بكثير، لقد اكتشفا الحب الحقيقي الذي ألف بينهما.

*****

– ماذا تصنعين؟

– قليلاً من البوظة.

ترك "شندلر" العنان لعينيه في العبث بالنظر إلى جمال ساقيها الطويلتين اللتين كانت تتحرك بهما بنشاط هائل في المطبخ. ومع أنه كان يجب عليه الرحيل منذ حوالي أكثر من أسبوع، لكنه كان دائماً يختلق الأعذار للمكوث بجانبها لأطول مدة.

– إنني أعتقد أنه كان يجب عليك عمل الكريمة أولاً.

– ليس في هذه الوصفة.

خلطت "چولييت" هذه المقادير بملعقة خشبية وبعدها وضعتها في وعاء في الثلاجة لكي يصبح مثلجاً.

– أليس من الأسهل لنا الذهاب إلى البقالة الكبيرة وشراء كمية وافرة منها؟

قال "شندلر" هذا وعقله يفكر.....

– نعم إنه من الأسهل علينا عمل هذا، وأجابته وهي تنشف

يديها قبل تناول كيس الطحين من خزانة المطبخ.

– ولكن لن يكون أبداً الأحسن، بدون شك وأيضاً لن يكون أطيب من هذا الذي تصنعينه بيدك في المنزل....

– خذ هذه، قالت له وهي تمسك بمطرقة قد أخرجتها من الدولاب. وأد لي خدمة تكون أكثر فائدة من هذه.

وبدون أن تسمع الرد، توجهت في الحال نحو ممر المنزل، وعيناه كانتا تحلمان بقامتها الناعمة، وتبعها الچيولوچي وهو متأكد أن ذوقه من جهة النساء قد تغير جداً. كان يرغب الأجسام الملتفة قليلاً، ولكن الجسم النحيل والمكتنز والطويل الذي لـ"چولييت" كان يلف برأسه تماماً.

وبدأت دماؤه في الغليان عندما ارتمت فوق الثلاجة لكي تخرج كيساً من الثلج، وتوجهت نحوه وهي تلقي بناظريها وبعمق نحو حلقه.

– كم من الوقت سوف يأخذ تحضير هذا الطبق؟ سألها وأفكاره شاردة.

– أكثر من الوقت الذي سوف تقوم فيه بتكسير هذا وعمل الكريمة.

– ليس هذا الذي كنت أعنيه، قال هذا متضايقاً.

– إذا كنت تريد تناول البوظة، فإنه يجب عليك مساعدتي على صنعها. وهذا من قواعد الحياة في هذا المنزل، وهي تسخر منه.

– إن شهيتي مفتوحة جداً لكن.... ليس بالضبط على الكريمة المثلجة. ضاحكة. وضعت "چولييت" المطرقة بين يديه وهدأته بقبلة منها.

كان هذا الأسبوع الذي مضى من أجمل سنوات عمرها كلها، كان مليئا بالسرور والسعادة والحب الكامل، وكم كانت لا تستطيع حتى الحلم بهذه الأيام، وبما أنها كانت متأكدة تماماً من

دوران الأرض الكروية، فإن تأكدها كان أكثر من أن الأيام المتبقية لديهما كانت تتضاءل باستمرار يوماً بعد يوم.

– بالمناسبة.... لقد اتصل العامل "تكس" منذ لحظات، عندما كنت متمدداً تحت سيارة جدي لإصلاحها.

– وماذا كان يريد؟ سألها "شندلر" منحدراً ومتأكداً أن تصليح السيارات القديمة لم يكن إلا سبباً قوياً لكي يبقيه هنا ويؤخر سفره.

وبذلت "چولييت" أقصى جهدها، لكي تبقي صوتها منخفضاً وهادئاً، شرحت له:

– لقد قال إن العينة التي أخذها من نبتة الجزر في الحقل الجديد واعدة، وأنه مستعد تماماً لوضع الحفار في موضعه الجديد، عندما تريد ذلك.

– سوف أكلمه حين انتهائي من عملي هذا.

ألقى "شندلر" وقتها ضربة شديدة من المطرقة على الثلج الذي أمامه. ولم يكن أبداً وبهذا القدر ممزقاً بين عمله وبين امرأة. وأبداً لم يشعر بهذا القدر من الحب في حياته....

وعند عودتها إلى المطبخ، ضغطت "چولييت" على يديها وشفتيها لكي تمنع نفسها من التوسل إليه بعدم مغادرتها. وبعد أن وجدت الرد الجيد والصحيح، رجعت إلى مكانها وبدأت مراجعة ذاكرتها بالذكريات التي سوف تتذكرها في وقت غياب هذا الچيولوچي عنها.

أخذ "شندلر" المطرقة ونصفه الأعلى كان عارياً تماماً، وأخذ يضرب بها بكل قواه. وكانت الشمس، في هذا اليوم بعد الظهر، ترسل أشعتها الصافية من بين الأبنية التي أمامهما: أبنية المخازن، وهي تكسو جسده الأسمر، وتدغدغ عضلاته الفذة، التي تتحرك مع كل حركة يعملها في ضرب المطرقه هذه. و"چولييت" كانت

لا تتعب أبداً من النظر إليه والتمعن في كل قطعة من جسمه المتكامل هذا.

كما كانت "چولييت" ترغب أيضاً في التواجد إلى جانبه دائماً: تنام معه وتستيقظ وهي بالقرب منه تماماً. وعلى الأغلب، فإن هذا الوضع سيكون من رابع المستحيلات.

– لقد انتهيت، أعلن هذا واضعاً المطرقة من يديه ورامياً لها بضحكة امتنان.

– سوف أعود لحين الانتهاء من مكالمتك الهاتفية. أعلنت هذا وهي تعود بكل حيوية ونشاط لكيلا تظهر انزعاجها.

وبعد حوالي مرور ساعة من الوقت، كانت تجلس على ركبتي "شندلر"، وذراعاها تعانقان رقبته، بينما هو كان غارقاً في قبلة لم تنته، أثناء ذلك لم يجرؤ أحد منهما أن يهمس بالاعتراف بالضرورة القصوى لمغادرة هذا الچيولوچي.

مع العلم بأن "چولييت" كان يجب عليها أن تسأله متى يريد مغادرتها، كما كان يجب عليه أيضاً أن يجيبها بكل صراحة.

– متى تريد الذهاب؟

– في يوم الأحد صباحاً، همس لها بهذا، واضعاً يده عليها.

– لم يعد يوجد سوى القليل من الوقت....

– وهل ياترى سوف تفتقدين وجودي معك؟

– وهل ياترى سوف تستطيع السماء أن تمر بالنجوم؟

– كم من الوقت بقي لنا قبل أن تنتهي هذه الكريمة المثلجة؟ سألها.

– بضع من الساعات، همست له. ولكن لماذا؟

وقف "شندلر" لتوه وأخذ بذراعيها خارجاً من المطبخ.

– هل تعبت؟

– قليلاً، نعم.

كان النهار طويلاً وقاسياً. فقد أمضته في وضع ثمار البندورة في الصناديق المعدة خصيصاً لهذا، وأيضاً في تحضير أغراض "شندلر" وأمتعته لرحلته هذه غداً، وبعد تناولهما طعام العشاء، توجها معاً ليرقصا رقصة الوداع.

– هل أنت مرهق ...؟

– أبداً على الإطلاق.

تقدمت "چولييت" به نحو غرفة الضيوف التي اعتبراها في الوقت الحاضر غرفتهما الخاصة بهما. وكانت هذه الغرفة مضاءة قليلاً جداً بالأشعة البيضاء للقمر لأنها كانت كلها من الخشب الجوزي، مقارنة بالغرفة التي كانت تشغلها بمفردها قبل هذا.

وغطاء بسيط كان مسدولاً فوق السرير النحاسي الذي يخص العائلة منذ أجيال طويلة. كانت "چولييت" تتمنى أن تكمل هذه العادات مع "شندلر".

– آه! لقد خفت كثيراً لفترة من الوقت، اعترف بهذا.

– ماذا حصل لكَ يا بطلي؟ وهي تسخر منه.

– إنني أرتجف خوفاً حتى هذه اللحظة عندما أتذكر اللحظة التي رأيتك بها تركضين نحو البئر، في هذا اليوم من وقت الانفجار الذي حصل.

– إني كنت أعتقد أنك سوف تموت إثر هذا الانفجار الهائل وأنا لن أحتمل البقاء بدونك ولهذا أسرعت لكي أموت معك.

– إذا كنت سوف تعودين لمثل هذه الأشياء مرة ثانية، فسوف أتركك ومصيرك.

*****

– "چولييت".

– نعم، إنني هنا.

وقف "شندلر" على عتبة المطبخ وفكره كان مشغولاً في العثور على طريقة ما ليقول لها إلى اللقاء، عندما التفتت نحوه، مرتدية قميصاً من القطن الطويل، والذي كان يستر فقط أعلى ساقيها.

– إنك لا تيسرين علي الأشياء، اعترف لها بهدوء عندما رآها في هذا المنظر.

– هذا هو المطلوب، رمت هذا بصوت قوي قليلاً. تردد "شندلر" قليلاً ثم قرر أن هذه الرحلة التي سوف يفارقها بها سوف تكون الأخيرة.

نظرت إليه "چولييت"، نظرة فاحصة متمنية من قلبها أن يترك لها بعض الأشياء المحسوسة والتي تستطيع التعلق بها لحين عودته.

– كل شيء أصبح جاهزاً في السيارة، أعلن عن هذا، وقي حلقه غصة الوداع.

– هل أخذت الماكولات الصغيرة التي جهزتها لك بنفسي؟

– نعم، وأشكرك جداً.

– إذن الوداع.....

– كلا.

– لماذا كلا؟

وبدأت أنفاسه تتسارع، حين قطع مسافة المطبخ بخطوتين من قدميه الكبيرتين، وأخذها بين أحضانه بكل قواه، حتى إنه رفعها من على الأرض، وأحست وقتها بشعور يغزو جسدها بأكمله، والسيدة الشابة لم تتمالك قواها تحت وطأة هذه القبلة الحارة، قبلة الوداع.

– لا تقولي وداعاً أبداً. ولكن قولي إلى اللقاء، وهمس لها في أذنيها.– إلى اللقاء إذن، يا "شندلر" همست له وهي ممسكة بآخر لمسة حنان منه.

أمسك بيديها، وقبل راحتيها، وأضاف قائلاً:

– عديني بأن ترتدي القفازات الخاصة بالحديقة.

– أعدك وأنت أيضاً عدني بأن تضع حزام الأمان عند وجودك أعلى الرافعة.

تمالك "شندلر" نفسه بكل قواه لكي يستطيع التخلص من "چولييت"، وهي أيضاً بذلت مجهوداً كبيراً لكي تسمح له بالذهاب عنها. وبخطوات بطيئة، خرج نحو التراس وتابعت بعينين واسعتين، هذه القامة الجميلة الفذة التي تبتعد عن ناظريها. واصلاً إلى آخر السلم المؤدي إلى السيارة، التفت نحوها وقال:

– انتظريني، فسوف أعود مسرعاً.

وبالدموع المنهمرة من عينيها، سمعت "چولييت" صوت قلبها يدعوه راجياً وبكل هدوء « إنني أرجوك، ألا تذهب....» وصل الچيولوچي أخيراً إلى السيارة "الشاندر بيرد الحمراء" ولكن عوضاً من أن يجلس وراء المقود، فقد التفت وأخذ شيئاً كان موجوداً على المقعد الأمامي. ورجع إلى أسفل التراس، ورمى لها بخوذة جده العزيزة عليه، والتي بدورها أمسكت بها بشدة نحو قلبها.

– سوف أرجع في غضون شهر فقط، أعدك بهذا.

– سوف أكون في انتظارك، همست له، وعيناها تلمعان من شدة الدموع المنهمرة منهما.

الخاتمة

وقبل أن تراه، سمعته "چولييت" يلف المنعطف وصوت صرير الأحجار من تحت محرك السيارة الذي يهدر بقوة. وكان من النادر جداً أن تتسلق إحدى الحافلات هذا الممر الطويل الحجري. وأيضاً من الأندر أن تكون هذه الحافلة هي هذه السيارة "الشاندر بيرد" الحمراء.

السقف مكشوف، وهذا معدن الكروم يبرق تحت أشعة شمس آب (أغسطس)، ووصلت أخيراً هذه السيارة محملة بقطار من الحديد، وكان الذي يقودها ذئب يريد أن يصل إلى فريسته ولكنه على شكل شخص ما. وهذا الشخص الذي كان يقود هذه السيارة كان عقله مخموراً بامرأة ذات ساقين أخاذتين.

خلعت "چولييت" القفازات بسرعة فائقة من يديها وتواجدت حافية القدمين فوق الممر الحجري لكي تكون في استقبال من أتى إليها راكضاً كالذئب. كان الممر الحجري ينزلق تحت قدميها وشعرها الأحمر يتلاعب في الهواء وكأنه أمواج من البحر الهائج. كان عندها الكثير لتروي له عن هذه الأسابيع الستة من الوحدة، التي تركها فيها: عن ثمار البندورة التي كانت تباع مثل الخبز، وعن المشتري الذي وقع معها أيضاً عقد بيع لأصناف أخرى من الخضراوات، وعن عثورها للتو في سقيفة المنزل على ثوب الزفاف الرائع الخاص بجدتها.

"شندلر" كان أيضاً يحمل أنباءً سارة: لقد ترك لمدير أعماله "تكس" المراقبة التامة للحقول. وأعطاه لقب الچيولوچي الذي يستطيع أن يقرر بنفسه ما إذا كانت هذه الأرض معطاءة أم لا. وأنه أيضاً سوف يستطيع إدارة العمل من عنده أي وهو إلى جانبها، وبدون أن يلهث في الاتجاهات الأربعة لهذه المدينة.

واصلاً إلى مدخل المزرعة، أوقف سيارته في ناحية ملأى بالغبار، ومادا بقامته الطويلة نحو المكان الفارغ الموجود إلى جانبه، فاتحاً الباب وصرخ:

– هل تريدين الصعود إلى جانبي، أيتها المرأة العزيزة؟

لم تترك "چولييت" له المجال حتى لإعادة قوله مرة ثانية. وفي لحظة واحدة كانت إلى جانبه وأعطته قبلة عميقة. غرق "شندلر" فيها، وأحاطها بذراعيه، معانقا لها بشدة، وإلى الأبد اجتمعا، فالأرملة وباحثها عن الذهب الأسود، دخلا بهدوء وثبات عندها في منزلهما الخاص بهما.

تمت بعون الله

www.rewity.com مـــر مـــوريـــة